

مدينة تسلا في العصر الإسلامي

دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

إعداد

دكتور

عمري جبر المنعم محمد حسين

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ بش الدكتور مصطفى مشرفة
٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية



0027047

مدینة اسلام فی العصر الاسلامی دراسة فی التاريخ السیاسی والمضای

إعداد

دكتور

محمدی عبد المنعم محمد حسین

أستاذ التاريخ الإسلامی والمضای الإسلامیة بمسجد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش. الدكتور محمد طه مشرفة
ت ٤٨٢٩٤٧٢ - الإسكندرية

التاريخ السياسى لمدينة سلا

سلا من الفتح الإسلامي حتى عهد المرابطين

سلا SALÉ مدينة أزلية قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، كانت في الأصل قرية بربرية صغيرة، يرجع بنائها إلى حوالي عام ١٥٠٠ ق.م، وقد أنشأ بها القرطاجيون متجراً عُرف في عهدهم باسم سلفيس Silves، ثم احتلها الرومان في مطلع القرن الأول الميلادي وسموها سلا - كولونيا. وكانت سلا تقع في أقصى الحدود الجنوبية للمستعمرة الرومانية بالمغرب، وقد استمرت سلا مستعمرة رومانية مدة تقرب من الخمسمائة عام بلغت خلالها شلواً بعيداً من الازدهار^(١)، ثم تضاعفت أهميتها عند ظهور الوندال ولكنها لم تلبث ان استعادت مجدها على طول العهد البيزنطي^(٢).

(١) بدأ اكتشاف الأطلال الرومانية بها منذ سنة ١٩٢٠م وأهمها الساحة العمومية وقوس النصر. ويبلغ طول سور الساحة العمومية خمسمائة متر في عرض ثلاثمائة متر، كما كان لقوس النصر ثلاثة أبواب، كما اكتشفت بها آثار لبعض الطرق ومقبرة قديمة.
راجع: حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، طبعة الدار البيضاء، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص ٧٣.

(٢) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان، مؤلف في القرن السادس الهجري، تحقيق د. سعد زغول عبد الحميد، مطبوعات جامعة الإسكندرية، ص ١٤٠، الحميري، (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي): صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المطار في خير الاقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٣١٩. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي)، وصف افريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٠٧، ابن القاضى (أحمد بن محمد الكتاسي) "جنوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرياط، ١٩٧٣-١٩٧٤م، ق ١، ص ٢٠، حركات. المغرب عبر التاريخ، ص ٦٥، ٧٤، ٧٥: السويسي (عبد الله): تاريخ رباط الفتح، الرياط، ١٩٧٩م، ص ٧٧.

ظلت سلا خاضعة للحكم البيزنطي إلى أن قام القائد عقبة بن نافع الفهري بفتحها عام ٦٢هـ (٦٨٢م) وأسلم أهلها على يديه ولكتهم ما لبثوا أن ارتدوا عقب مقتلهم في تهودة^(١) عام ٦٤هـ (٦٨٤م)^(٢) ثم عادوا وأسلموا مرة ثانية عام ٩٠هـ (٧٠٩م) على يد القائد موسى بن نصير^(٣) ثم فتحها إدريس الأول عام ١٧٢هـ (٧٨٩م)^(٤) وتداول

(١) تهودة بلدة صغيرة في أرض الزاب، ويُعرف هذا المكان اليوم باسم سيدي عقبة، وهو واحة صغيرة بالقرب من بسكرة في الجنوب من ولاية قسنطينة.

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الإعلام فيمن يروع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام. القسم الثالث الخاص بالمغرب وصقلية، تحقيق د. أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤، هامش (٢) ص ٢، ٣.

(٢) ابن عذري المراكشي (أبو عبد الله محمد): البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب. خمسة أجزاء، الثلاثة أجزاء الأولى تحقيق كولان وإيلي بروفنسال، بيروت بدون تاريخ، والجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، والجزء الخامس أو قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تايوت، محمد زنيير وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ج١، ص ٢٧، ٢٨، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق١، ص ٢٠، سالم (السيدي عبد العزيز) المغرب الكبير (العصر الإسلامي) طبعة الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ٢٢٦، ٢٢٧، السويسي، تاريخ رياطة الفتح، ص ٧٨.

(٣) ابن عذري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٤، ابن القاضي، المصدر السابق، ق١، ص ٢٠، سالم، المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ السويسي، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٤) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الإدريسة في بلاد المغرب، وكان قد شارك في الثورة التي قام بها العلويون في الحجاز عام ١٦٩هـ (٧٨٦م) بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب والتي انتهت بالفشل بعد أن أوقع بهم العباسيون في موضع يسمى فخ بين مكة والمدينة المنورة أثناء موسم الحج من نفس العام. وقد نجا إدريس هذا من مذبة فخ وكر إلى بلاد المغرب بصحبة أحد مواليه الذي انصف بالشجاعة والعقل وهو راشد. وقد نزل إدريس بمدينة ويلي على زعيم قبيلة أوربة البربرية إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي الذي أكرمه وأحسن ولمادته وانتهى الأمر بمبايعة إدريس بالإمامة وذلك في شهر رمضان عام ١٧٢هـ (فبراير عام ٧٨٩م) وتمكن إدريس من إقامة دولة قوية بالمغرب الأقصى.

ملكها بنوه من بعده^(١)

توفي إدريس بن إدريس بن عبد الله العلوي في الثاني عشر من جمادى الثانية عام ٢١٢هـ (التاسع والعشرين من أغسطس عام ٨٢٨م) وخلفه على الإمامة ابنه محمد بعهد من أبيه إليه، وقد أوصته جدته كنزة أن يشرك إخوته معه في سلطانه، فيقسم دولته إلى أعمال يتولاها إخوته^(٢).

راجع: البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ، ص ١١٨-٢٢٦، مؤلف مجهول، الاستبصار، ١٩٤-١٩٨، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاة): الحلة السيرة، تحقيق د. حسين مؤنس، في جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢، ج ١، ص ٥١-٥٤، ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن علي الفاسي): الأتيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة الرياض، ١٩٧٣م، ص ٦-٧٠؛ ابن عذري، البيان المغرب، ج ١، ص ٢١٠-٢١٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ١٩٢-٢١٠؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد). العبروديان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٤، ص ٨-٣٢؛ سالم، المغرب الكبير، ص ٤٦-٥٢٩؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، ١٩٧٩م، في جزئين، ج ٢، ص ٢٨٩-٤٠٦. Marçais, (G). La Berbérie musulmane et l'orient au moyen-âge, Paris, 1947, P.110-116.

(١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ٢٠، السويسي، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٨؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤١٩.

(٢) عن هذا التوزيع راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٤؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ١٢٩-١٣١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥١، ابن القاضي، جذوة الاقتباس ق ١، ص ٢٢ السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) الاستقصا لآخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤-١٩٥٥م، ج ١، ص ١٧٢.

فولى أخاه عيسى على سلا، وكانت النتيجة الطبيعية لتقسيم البلاد أن دب الخلاف بين الإخوة، فمنهم من استجاب لإغراء الاطماع الأثانية، فخرج على سلطان الأخ الأكبر، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الإخوة، فافتتح ذلك عيسى بالتمرد فى مدينة سلا وشق عصا الطاعة على أخيه طالبا الأمر لنفسه، فكتب الإمام محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة^(١) يأمره بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لسلا، ولكن القاسم امتنع عن ذلك^(٢)، فاضطر الإمام

(١) طنجة مدينة قديمة بالمغرب الأقصى تقع عند الطرف الغربى بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ولا يفصلها عن الشاطئ الأسيانى المقابل سوى ثمانية عشر كيلومتراً. وقد عرفت فى القديم أيام الفينيقيين والرومان باسم تنجى Tingi ومعناه بالبريرية البحيرة. ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس، ثم خضعت للأداسة ثم الطويين بفاس والأمويين فى الأندلس، ثم سيطر عليهاحكام دولة برونغواطة فى تامسنا. وجعلوا منها ومن سبتة أهم قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة فى مضيق جبل طارق ثم استطاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين أن يقضى على هذه الدولة البرغواطية ويحتل سبتة وطنجة. وكانت طنجة من أهم موانئ المغرب الإسلامى طوال العصور التالية.

راجع - مؤلف مجهول الاستبصار، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٢٠٢.

(٢) كتب القاسم إلى أخيه الإمام معتزاً عن توقفه عما أمره به فى أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهداً فى أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق راغباً فى العودة إلى المشرق وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه - على حد قول الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بعد أكثر

محمد إلى مخاطبة أخيه عمر صاحب بلاد صنهاجة وغمارة يأمره بمحاربة أخيه عيسى، فامتثل عمر لأمره، وحشد جيشاً كبيراً من البربر، وسار نحو أخيه عيسى، فلما اقترب عمر من أحواز سلا كتب إلى أخيه الإمام يستعده فأمدّه بألف فارس من قبائل زناته، وتمكن من إلحاق الهزيمة بأخيه عيسى وأخرجه عن مدينة سلا وأعمالها، وكتب عمر إلى أخيه الإمام بهذا الانتصار، فكتب له الإمام محمد يشكره على ما قام به، ويؤاياه على ما فتحه من أعمال عيسى، ويأمره بالمسير إلى قتال أخيه القاسم الذي عصى وأمتنع عن حرب أخيه عيسى، فسار عمر بجيوشه لقتال القاسم فلمانزل على مقرية من مدينة طنجة، خرج القاسم للقائه، ودارت بينهما معارك عديدة، هُزم فيها القاسم، وضم عمر بلاد أخيه القاسم إليه، أما القاسم، فقد سار إلى ساحل البحر المتوسط، فتزهد وبني مسجداً ورباطاً مما يلي مدينة

== من أربعين سنة من استقرار الأدارسة في المغرب وهذه الآيات:

سأترك للراغب الغرب نهياً	وإن كنت في الغرب قتيلاً وندياً
واسمعو إلى الشرق في عمة	يعز بها ركباً من أحبا
وأترك عيسى على رايه	يعالج في الغرب همّاً وكرباً

راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ١٣٢، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٦٠.

أصبلا^(١)، وهكذا خضعت سلا لحكم عمر بن إدريس بن عبد الله العلوي^(٢) واستمر الأدارسة يتناوبون حكم مدينة سلا إلى أن انتزعها منهم موسى بن أبي العافية المكتاسي^(٣) عام ٣١٧هـ (١٩٢٩م) ثم صارت سلا عاصمة ملك بني يفرن^(٤).

(١) أصبلا مدينة صغيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسي ومعناها بالبربرية المكان الجميل وينسب إليها الكثير من العلماء، ويرجع تسميتها إلى العصر القرطاجي، وقد اهتم الأدارسة ببنائها وجعلوها مركزاً لدولتهم في شمال المغرب إلى جانب قلعة حجر النسر، ويصفها صاحب الاستبصار: "كانت مدينة كبيرة أنزية عامرة أهلة كثيرة الخير والخصب وكان لها مرسى مقصود". راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١١١-١١٢؛ ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ١، ص ٢٢؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٢٩؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص ١٠٤.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١٢٤؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ٥١، ٥٢؛ ابن القاضي، جلوة الاقتباس، ق ١ ص ٢٠٢، ٢٠٤؛ سالم، المغرب الكبير، ص ٤٨٠، ٤٨١؛ سعد زغلول هيد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٥٨-٤٦٠.

(٣) هو موسى بن أبي العافية بن أبي ياسين بن أبي الضحاك بن تامريس ابن إدريس بن وليف بن مكتاس بن سطيف المكتاسي، ملك معظم أنحاء المغرب الأقصى في أوائل القرن الرابع الهجري وأعلن الولاء والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر في الأندلس، فزحف إليه ميسور الفتى قائد الخليفة الفاطمي القائم، وتمكن من إلحاق الهزيمة بموسى وأجلاه عن أعمال المغرب إلى الصحراء ولم يزل موسى شريكاً إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية سنة ٢٤١هـ (٩٥٢م). راجع: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ٢١٢-٢١٤؛ اللقشندى (أبو العباس أحمد بن علي): صيغ الأعيان في صناعة الإنشاء نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ج ٥، ص ١٨٢-١٨٤.

(٤) بنو يفرن بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، كانت موائلهم الأصلية بإفريقية ما بين تلمسان وتاهرت، ومن أبرز زعمائهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى صاحب الثورة الشهيرة ضد الدولة الفاطمية، ويطلق بن محمد اليفرنى الذي دعا للخليفة عبد الرحمن الناصر واستولى على وهران=

استمر الصراع بين بنى يفرن أصحاب سلا وبين بنى زيرى بن عطية

المغراوي أصحاب قاس^(١) فى عام ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) أعلن

= سنة ٢٤٢هـ (٩٥٤م) ثم بسط نفوذه غرباً فاستولى على قاس، وفى سنة ٤٢٩هـ (١٠٦٠م) خرج جوهر الصقلي قائد جيوش الخليفة المزمز لدين الله الفاطمى إلى بلاد المغرب، فلما اتصل خبر قدومه ببعللى بن محمد اليفرنى حشد بنى يفرن وجميع قبائل زناته وتلقاه على مقربة من تاهرت، فكانت بينهما حروب شديدة، وتمكن جوهر من قتل بعللى وقطع رأسه وأرسلها إلى مولاه المعز بالقيروان، فولى بعده ابنه يدو بن بعللى، وكانت بينه وبين زيرى بن عطية المغراوى حروب عنيفة، فكان إذا انتصر يدو دخل قاس وتملكها، وإذا انتصر زيرى أخرجه عنها إلى أن انتهى الأمر بهزيمة يدو بن بعللى ومقتله سنة ٢٨١هـ (٩٩١م) ويعد زيرى بن عطية برأسه إلى المنصور محمد ابن أبى عامر فى الأندلس، فانسحب بنو يفرن إلى سلا واستقروا فيها واتخذوها عاصمة لدولتهم فى بلاد المغرب الأقصى.

راجع: ابن عذراى، البيان المغرب، ج١، ص ١٦٢، ١٦٤؛ مولف مجهول (الطلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩م ص ١٢؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ١٦٤، ١٦٥؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص ١٨.

(١) ينتسب زيرى بن عطية المغراوى إلى قبيلة مغراوة إحدى بطون زناته وكان قد ساعد المنصور محمد بن أبى عامر فى إخماد الثورة العلوية التى قام بها الحسن بن كتون وأعوانه الزناتيين من بنى يفرن، وقد كافاه المنصور على ذلك بأن ولده حكم بلاد المغرب فصارت له الرياسة فى قبائل زناته وينسب إلى زيرى بن عطية بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م) وجعلها عاصمة لدولته المغراوية. وقد حرص زيرى على إظهار ولائه للدولة الأموية وإرسال الهدايا إلى الحاجب المنصور ابن أبى عامر غير أن هذه العلاقات الطيبة لم تثبت إن تغيرت فجأة فى آخر زيارة قام بها زيرى ابن عطية للأندلس، فقد ذكر المؤرخون أنه لما جاز إلى المضيق عائداً إلى وطنه واستوت قدمه على أرض طنجة، تعمم وخاطب بلاده مرحباً: "الآن علمت أنك لى" وهذه العبارة تدل على حزمه الاستقلال ببلاده من السيادة الأموية فى الأندلس، وفى عام ٢٨٦هـ (٩٩٦م) أعلن زيرى ثورته على المنصور وطرد عماله من جميع بلاد المغرب ماعدا القواعد الأموية المطلة على المضيق مثل سبتة وطنجة ومليلة؛ فقرر المنصور تانيبه وأرسل جيشاً كبيراً لقتاله جعل على قيادته واضح الغنى العامرى وقد تعرض لهزيمة فامده المنصور بابنه عبد الملك المظفر الذى نجح فى=

ابو الكمال تميم بن زيرى اليفرنى الثورة فى سلا وزحف للملاقاة حمامة ابن المعز بن زيرى فى فاس، فكانت بينهما حروب عنيفة، انهزم فيها حمامة وفر إلى مدينة وجدة^(١)، فدخل تميم اليفرنى مدينة فاس فى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٤هـ (أبريل ١٠٢٣م) وأوقع باليهود فيها، فقتل منهم نحواً من ستة آلاف يهودى وانتهب أموالهم^(٢).

-
- = ابقاع الهزيمة بزيى بن عطية، ولكنه كتب إلى المنصور يتقرب إليه ويسترضيه فعلا عنه وأعادته لولاية المغرب، ثم مات زيرى سنة ٢٩١هـ (١٠٠١م) وخلفه ابنه المعز بن زيرى، فلما تولى المعز فى جمادى الأولى ٤٢٢هـ (أبريل - مايو ١٠٢١م) خلفه ابنه حمامة.
- راجع: مؤلف مجهول (نيد تاريخيه فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفى بروفنساله الرباط، ١٩٣٤، ص ٢٧، ٢٨، السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج١، ص ٢١٠-٢١١؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٩، المص ١٠١-١٠٢، القسم الثانى، ص ٥٤٥
- ٥٥٥؛ أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٢٣٦، ٢٣٧.
- (١) أسست مدينة وجدة عام ٢٨٤هـ (٩٩٤م) على يد زيرى بن عطية المغراوى وابتنى بها قصبة منيعة وقصراً، وأحاطها بأسوار ضخمة، ونقل إليها أمواله ولخائره وأخذها قاعدة الحكم سنة ٢٨٦هـ (٩٩٦م) لموقعها المتوسط بين المغربين الأوسط والأقصى، وقد دمرت هذه المدينة فى عام ٦٧٠هـ (١٢٧١م) على يد قوات السلطان المنصور المرىنى بعد معركة نشبت بينه وبين بنى عبد الواد بأحوازها، ثم أعاد ابنه السلطان يوسف بن يعقوب تعمير هذه المدينة فى عام ٦٩٦هـ (١٢٩٦م).
- راجع: ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٣٢، الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ص ١٢، ١٣، السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج١، ص ٩٢.
- (٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٦٥، ١٦٦ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ٤٦، ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق، ١، ص ١٧٢.

أقام تميم بن زيري اليفرنى بمدينة فاس سبعة أعوام بينما ظل
حمامة بن المعز بن زيري بن عطية يتحين الفرص للزحف على فاس فأعد
لذلك جيشاً ضخماً، كما كتب إلى قبائل مغراوة، فاجتمعوا عليه، وزحف
بحشوده إلى فاس ودخلها وتملكها، بينما فر تميم بن زيري اليفرنى إلى
سلا وذلك سنة ٤٢١هـ (١٠٣٩م).^(١)

(١) ابن القاضى، جنة الاقتباس، ق ١، ص ١٧٢.

سلا في عصر المرابطين

توفي تميم بن زيري بن تميم اليفرنى بمدينة سلا سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) وخلفه عليها ولده محمد. وفي سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) سير أمير المسلمين المرابطي يوسف بن تاشفين^(١) قائده الشهير أبو محمد

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين هو اللبس الحقيقي لدولة المرابطين وقد ولد في الصحراء في سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م). بيد أننا لا نعرف شيئاً من حياته ونشأته الأولى، وتذكره الرواية التاريخية لأول مرة في سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) حينما نفيه الأمير أبو بكر الممتوني ليكون قائداً لجيش المرابطين الزاحف لغزو المغرب، ولما وقع الخلاف بين الممتونة ومسوفة وخشى الأمير أبو بكر من عمر الممتوني أن يتفاقم الأمر بين القبائل الشقيقة، قرر أن يعود إلى قومه، فوكل شئون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل له من زوجته زينب بنت إسحاق النزاهة بعد أن طلقها وتزوجها يوسف. وقد قام يوسف بن تاشفين بجهد كبير في فتح بلاد المغرب ثم لبى نداء أهل الأندلس وعبّر إليهم وأحرز انتصاره الكبير في وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، وتمكن من التخلص من ملوك الطوائف وأقام امبراطورية مرابطية ضمت بلاد المغرب والأندلس وقد توفي سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م).

— عن قيام دولة المرابطين في المغرب والأندلس ودور يوسف بن تاشفين.

راجع: اليكزي، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ١٦٤-١٧٠؛ ابن عذراء، البيان المغرب، الجزء الرابع الخاص بالمرابطين ١ - ٥٠؛ ابن أبي ذرع، روض القسط، ص ٨٢ - ١٠٩؛ مؤلف مجهول، الطل الحشية، ص ٨ - ٥٧؛ ابن الخطيب، أعمال الإعدام، ص ٢٢٦ - ٢٤٠؛ ابن خلدون، المعروضات المبتدأ والخبر، ج ٦، ص ٢٨٢-٢٨٠؛ سالم، المغرب الكبير ص ٦٩١ - ٧٢٠. Dozy (R.) Histoire des Musulmane d'Espagne, Three vols, Ley de, 1932, vol, III, P.124 - 153. Miranda (Ambrasio Huici). La invasion de los Almoravides y la batalla de zalaco, Hesperis, Annee, 1953, Tome, XL, Paris, P.26 -40.

مزدلي^(١) إلى مدينة سلا على رأس جيش كبير فافتتحها^(٢).
ومن المرجح أن مدينة سلا قد تعرضت للتخريب مراراً أثناء الحروب
التي دارت بين المرابطين وبين البرغواطيين، فقد زارها الجغرافي الإدريسي
في العصر المرابطي ووصفها بقوله: "فهى الآن خراب وبها بقايا بنيان قائم
وهياكل سامية، ويتصل بخربها عمارات متصلة وزروع ومواشى لأهل سلا
الحديثة"^(٣). ويؤكد ذلك إغفال ذكرها طوال عصر المرابطين فيما عدا تفريغ

(١) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلنكان الذي استرجع للإسلام مدينة بلنسية سنة
٤٩٥هـ (١١٠٩م) بعد أن استولى عليها السيد القنبيطور نحو ثمانى سنوات، وقد تغلب مزدلي في
مختلف المناصب فحكم غرناطة وقرطبة والمرية سنة ٥٠٤هـ (١١٠٩م) ونزل يقود الحملات لجهاد
المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً في ميدان القتال في شوال سنة ٥٠٨هـ (مارس
١١١٥م) وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطة واكتسح بساطها سنة ٥٠٧هـ (١١١٤م).
عن مزدلي راجع: ابن عذراء، البيان المغرب، الجزء الخاص بالمرابطين، ص ٤٩- ٥٨؛ ابن
أبي زرع، روض القرطاس، ص ١١٠- ١١٣؛ ابن الكريوس (أبو مروان عبد الملك التونسي) تاريخ
الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادي،
منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمعريد، ١٩٧١، ص ١١٠، ١١٢، ١٢١.

(٢) ابن عذراء، البيان المغرب، ج ٤، ص ٧٦، ٧٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق ٢، ص ١٦٦.

(٣) الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ٧٧.

النصارى المعاهدين إليها،^(١) ونزول محمد بن تومرت بها. (٧)

(١) جاء قرار تغريب النصارى المعاهدين كرد فعل للحملة العسكرية التي قام بها الفونسو السابع (المحارب) ملك أرغون ضد أراضي المسلمين استجابة لنداء النصارى المعاهدين في غرناطة. إذ التمسوا منه غزو الأندلس وتمهيدا له ببذل العون الصالح والعمل كمرشدين ومحاربين ووجهوا إليه زماماً يشتمل على اثني عشر ألف مقاتل، كما وعدوه عند وصوله إلى حضرتهم بأن ينضم إلى جيشه جميع المعاهدين في بلادهم، فخرج الفونسو المحارب من سرقسطة في أول شعبان سنة ٥١٩ هـ (الثاني من سبتمبر سنة ١١٢٥ م) واخترق شرق الأندلس مروراً ببلنسية ودانية وشاطبة ومرسية ثم اتجه نحو جنوب الأندلس وواصل زحفه إلى غرناطة إلا أنه فشل في دخولها ثم أحرز نصراً عسكرياً محدوداً على جيوش المرابطين عند حصن الرينسول ثم قرر فجأة العودة إلى بلاده بعد أن تبين له أن حملته لم تحقق الهدف منها وأن عسكره قد أصبحوا بخسائر جسيمة خلال المعارك التي خاضتها قواته مع قوات المرابطين بالإضافة إلى الأمراض التي سببتها برودة الشتاء القاسية. وقد أثبتت هذه العملية أن المعاهدين النصارى الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين في ذمة الإسلام وفي ظل سياسة التسامح التي كان يطبقها المسلمون منذ الفتح أنهم كانوا منافقين غير مواليين للمسلمين، وأنهم يبذلون العون والنصرة لملك أرغون وأنهم قد خانوا العهد وتكفروا بولائهم للمسلمين، وكان طبعياً أن يتفرغ لهم أروا الأمر بعد انسحاب الفونسو المحارب إلى بلاده، فيعاقبونهم بما يستحقون من عقاب ممتثلين للنبى صلى الله عليه وسلم عندما خانته بنو قريظة اليهود، وهكذا أفتى الفقيه أبو الوائيد ابن رشد بتغريبهم ونفيهم إلى المغرب، فالتزم أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين هذه الفتوى، وصدر عهده إلى جميع مدن الأندلس بتغريب النصارى المعاهدين إلى المغرب.

عن تغريب النصارى المعاهدين راجع: ابن حذاري، البيان المغرب، ج٤، ص ٦٩-٧٢، مؤلف مجهول، الحلل المؤشحة، ص ٦٩ - ٧٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة نشر الأستاذ محمد عبد الله عنان في أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٧٣-١٩٧٧ م، ج١، ص ١٠٩-١١٤؛ أشباح، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٤٨-١٥٠؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، ١٩٦٤، الجزء الأول عصر المرابطين، ص ١٠٦-١١٤.

Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897, P.520 - 550 y Mozaralics y juaderios de los ciudades Hispano Musulmanas, AL-Andalus, vol, XIX, 1954; Fasc.1, P.173-175.

(٢) ينفرد البيهقي بالإشارة إلى نزول المهدي محمد بن تومرت بسلا ولم يحسد تاريخ نزوله، إذ أشار=

أما سلا الحالية فيبدو أن نشأتها ترجع إلى عصر الموحدين، فقد قطن بها البربر بعد عصر سراج الموحدين عبد المؤمن بن علي، وكان مجيئهم من أفريقية، فانشأوا بها البساتين وعلموا أهلها طرق الري وغرسة البساتين، وبدأت أهمية سلا تزداد منذ أن أظهر الخليفة الموحدى يعقوب المنصور عنايته بتعميرها.^(١)

= إلى نزوله عند الفقيه القاضى أحمد بن هشرة، وكان يأتيه الكثير من طلاب العلم، يلقون عنه العلم ويأمرهم أن يأمروا الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد أقام بسلا أياماً ثم ارتحل منها إلى مراکش.

راجع: البيهقي (أبو بكر بن علي الصنهاجى): أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٧٤م، ص ٥٤، ٥٥. وانظر أيضاً:

Miranda (Huici): Historia Politica del imperio Almohade, Tetuan, 1956. Vol, 1, P.51 -52.

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤٠.

سلا في عصر الموحدين:

واصل الموحدون سلسلة انتصاراتهم على المرابطين وإن كانت كلفتهم كثيراً طوال حياة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧هـ/١١٠٦ - ١١٤٣م) لمحبة الناس له وعظم هيئته في نفوس المرابطين، ثم جاءت وفاته سنة ٥٣٧هـ (١١٤٣م) بداية لنهاية دولة المرابطين، فلم يمض عامان حتى كان بنيانها قد انهار من أساسه فعلى الرغم من المحاولات اليائسة التي كانت يبذلها تاشفين بن على بن يوسف (٥٣٧ - ٥٣٩هـ/١١٠٦-١١٤٥م) الذي خلف أبيه في رئاسة المرابطين، وعلى الرغم من ضروب الشجاعة والإقدام التي اتصف بها في معاركه التي خاضها ضد قوى الموحدين طوال الفترة القصيرة التي قضاهما في الإمارة وجملتها سنتان، فإن الصدع كان من العمق بحيث لم ينفع فيه علاج، وكان من الممكن أن يمتد أمر المرابطين لو أن العمر طال به أكثر من ذلك ولكنه لسوء طالع المرابطين خرّ صريعاً في عام ٥٣٩هـ (١١٤٥م) وبوفاته إنهارت مقاومة المرابطين في بداية عهد ولده الأمير أبي اسحاق إبراهيم بن تاشفين آخر أمراء دولة المرابطين إذ تمكن الموحدون من الاستيلاء على كثير من مدن المغرب.

سار عبد المؤمن بن علي^(١) من مكناسة^(٢) إلى مدينة سلا، فلما وصلها امتنع أهلها عن الدخول في طاعته، وأغلقوا أبواب مدينتهم وتحصنوا خلف أسوارها، ومن المرجح أن الخيانة قد لعبت دورها في فتح الموحدين

(١) ولد عبد المؤمن بن علي في قرية تاجرا من أعمال تلمسان في عام ٤٨٧هـ (أوائل عام ١٠٩٥م) وينسب إلى قبيلة كومية البربرية، وقيل أن والده كان قاضياً وذكر بعضهم أنه كان فخاراً. وفي قرية تاجرا قضى عبد المؤمن طفولته وشبابه وفيها تلقى بعض العلوم الدينية وقد دفعه تعطشه لتحصيل العلوم إلى التفكير جدياً في الرحيل إلى المشرق، وقرر معه أن يصحبه فخرجاً معاً إلى بجاية أحد ثغور المغرب الأوسط ليستقلا مركباً إلى المشرق وهناك نزلاً بمسجد الريحانة من مساجدها. وسما الناس يتحدثان عن محمد بن تومرت ذلك اللقيط السومسي، فسأل عبد المؤمن عنه أن يسمح له برؤيته وسماحه، فأتى له بالسير إليه، فسماله ابن تومرت عن شخصه وعن أهواله، ولما وقف على مقصده، قال له إن الطم والشرف والذكر التي يطلبها موجودة وأنها تنال بصحبته، ودعاه إلى معاونته فيما هو قائم به، ومنذ هذا التاريخ أقام عبد المؤمن بن علي ملازماً لابن تومرت، يؤازره في دعوته ويشاطره مصيره أينما حل. وقد أطلق عليه ابن تومرت لقب سراج الموحدين، ولما توفي المهدي بن تومرت سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م) خلفه عبد المؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين في المغرب والأندلس.

راجع: البليقي، أخبار المهدي بن تومرت ص ٥١ - ٥٦؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري): الكامل في التاريخ، القاهرة، ١٣٥٧هـ ج ٨، ص ٢٩٥ - ٢٩٧؛ المراكشي (صمد الواحد بن علي): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر الأستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العريسي الطنسي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٩٤ - ١٩٧؛ ابن أبي زرع، روض القرماس، ص ١٢٩ - ١٣١؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٢، ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) تعتبر مكناسة من بين أشهر مدن المغرب، وتقع جنوب غرب فاس على مقربة من جبل زهون، وعلى مكان مرتفع عن سطح البحر تحيط به أشجار الزيتون والكروم. وكانت فواتها الأولى هي مدينة تاكوارت ومعناها المدينة العسكرية التي بنّاها المرابطون للإشراف على منطقة مكناسة، ثم ازدهرت أيام بني مرين الذين أسسوا فيها المساجد والحصون. راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ١٦٩.

لمدينة سلا، إذ يروى ابن عذرائ أن فتح سلا كان بفضل رجل يسمى بيبورك وابنيه محمد وعلي، ومن المرجح أنهم كانوا من أبناء سلا، فراسلوا الموحدين سراً، ودعاهم للوصول إلى مدينتهم ليلاً وصنعوا لهم سلاسل، فصعدوا بها على أسوار سلا في حين غفلة من القائمين على حراستها، فقتلوا كل من وجوه على السور، ودخل عبد المؤمن بن علي سلا في السابع من ذي الحجة سنة ٥٤٠هـ (مايو سنة ١١٤٦م) وأمن أهلها ورتب أحوالها واستولى على قصبته التي كان بناها تاشفين بن علي بن يوسف، كما أمر بتخريب أسوارها وأقام بها أربعة أيام حيث صلى فيها صلاة عيد الأضحى، وولى عليها عبد الواحد الشرقي^(١) ومن بين الشخصيات الكبيرة التي استقبلها عبد المؤمن بن علي خلال وجوده في مدينة سلا القاضي عياض بن موسى اليعصبى قاضى سبتة^(٢)، وكان من أعظم فقهاء العصر وعلمائه، فقد سار للقاء عبد المؤمن بن علي يسلا: "فأكرمهم عبد المؤمن بن علي وأجزل

(١) عن فتح عبد المؤمن بن علي لسلا راجع:

ابن عذاري، البيان المغرب، ج٥، ص٢٥، وانظر أيضاً مؤلف مجهول، نيز تاريخية في أخبار البربر في القرن الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشره إيلي بروفيتسال، الرباط، ١٩٣٤، ص٥٩؛ النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التميمي القرشي) نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني والعشرون نشر جاسبار راميريو، غرناطة، ١٩١٦ - ١٩١٧، ص١٩٩؛ مؤلف مجهول، الطل الموشية، ص١٣٦، ابن خلدون، المعبر، ج٦، ص٣٢٢، الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي): تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية، تونس، ١٢٨٩هـ، ص٨؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص١٠٨، عثان، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول عصر المرابطين، ص٢٥٩؛ حركات، تاريخ المغرب، ص٣٦٨؛ السويدي، تاريخ رباط الفتح، ص٥١.

Miranda, Historia Politica, vol, 1, P.70.

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليعصبى السبتي المعروف=

صلته، فعاد إلى سبته واستمر في منصبه^(١)

أقامت سلا على طاعة الموحدين إلى قام بها ثائر يُدعى محمد بن عبد الله بن هود^(٢) وتسمى بالهادي وادعى الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن تومرت، وكان يعمل قصاراً ببحر سلا، بينما كان أبوه دلالاً بسوق سلا، فثار أهل سلا بقيادة ابن هود، وقتلوا عاملهم الموحدي وقدموا عليهم هوداً والد الثائر، بينما اتجه الثائر ابن هود جنوباً ونزل برباط ماسة وذلك في غرة شوال سنة ٥٤١هـ (مارس سنة ١١٤٧م) وإذلك عُرف بالماسي^(٣) فتبعه

== بالقاضي عياض من أشهر الفقهاء والقضاة في عصرى المرابطين والموحدين، وقد ولد في مدينة سبته في شهر شعبان سنة ٤٧٦هـ (١٠٨٣م) تلقى العلم عن أشياخ بلده ثم رحل إلى الأندلس ودرس بقرطبة ومرسية ثم عاد إلى سبته. ولي القضاء وهو بعد شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ثم تولى قضاء غرناطة سنة ٥٢٠هـ (١١٢٥م) إلى أن صرف عنه سنة ٥٢٢هـ (١١٢٧م) وعاد إلى سبته، ثم ولي قضاء سبته سنة ٥٢٩هـ (١١٤٥م)، ولما ظهر الموحثون بادر بالدخول في طاعتهم، فآثره عبد المؤمن بن علي على ما كان يريده.

راجع: ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، جزمنا، القاهرة، ١٩٦٦، ج٢، ص٤٥٢، ٤٥٤؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥، ج١، ص٤٦٩؛ ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي): قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة ١٢٨٢هـ ص٢٢٢-٢٢٦؛ عنان، عصر المرابطين، ص٤٦٧، ٤٦٣.

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص٢٢٥.

(٢) يقول البيهقي أن اسم هذا الثائر عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكدي والظاهر أن هذا الثائر اتخذ حين ثورته اسم محمد بن عبد الله بن هود، وقد حذا في ذلك حلو المهدي محمد بن تومرت الذي تسمى أيضاً باسم محمد بن عبد الله.

راجع: أخبار المهدي بن تومرت، ص١٢١.

(٣) يقول السلاوي الناصري أن الماسي كان قد لحق بعميد المؤمن بن علي ويأيمه وشهد معه فتح مدينة مراکش. راجع: الاستقصا، ج٢، ص١١٠.

كثير من القبائل: "اجتمعوا عليه اجتماعاً طار به الذكر في الآفاق، وقامت بدعوته أمم لاتحصى، واتصلت دعوته في جميع أقطار العدة، حتى لم يبق منها إلا مراكش وقاس". فلما أحس عبد المؤمن بن علي بخطورة ثورة الماسي، أرسل جيشاً كبيراً لإخمادها ولكن هذا الجيش تعرض لهزيمة عنيفة، فأعد عبد المؤمن بن علي جيشاً آخر بقيادة الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى الهنتاتي^(١) يضم عدة من أشياخ الموحدين وطائفة كبيرة من الروم^(٢) والرماة، وقد خرج هذا الجيش الموحدى من مدينة مراكش في غرة ذى القعدة سنة ٥٤١هـ (أبريل سنة ١١٤٧م) وخرج عبد المؤمن بن علي

(١) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بممر يتنى شيخ قبيلة هنتات إحدى بطون مصبودة التي قامت على إكتافها دولة الموحدين وكان أبو حفص من كبار القاشين بدعوة المهدي بن تومرت ومن كبار المشيدين لسلطان الموحدين في المغرب والأندلس، وكان من بين من حققوا الأمر لعبد المؤمن بن علي، كما أنه فتح للموحدين كثيراً من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورنده وإشبيلية وقرطبة وقرنطة، وقد تولى في الطاعون الذي أصاب بلاد المغرب والأندلس سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) وهو جد الطمسين حكام الفريقية أو البلاد التونسية.

راجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٢٣، ٧١، ٩٥، ٩٧، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٦؛ المراكشي، المعجب، ص ١٩٩، ٢٢٤، ٢٦٢، ٣٣١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١١٣؛ مؤلف مجهول، الطلل الرشيدة، ص ٨٨، ١٢١، ١٣٢، ١٣٤، ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٩.

٢٧٥، ٢٧٦؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٥.
Miranda, Historia politica del imperio-Almohade, Vol, 1, P.205,
222, 236, 239, 243, 269, 274, Vol, 2, P.391-394.

(٢) عاشت طائفة كبيرة من الروم بارض المغرب الأقصى نتيجة للمعارك التي خاضها المرابطون والموحدون بالأندلس والتي أسفرت عن كثير من الأسرى استخدمهم ولاة الأمر في خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة في الجيش حتى يستفيدوا من خبرتهم العسكرية.

راجع: حركات المغرب عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٢٣.

بنفسه لوداع هذا الجيش، وسار الجيش الموحدى حتى وصل إلى رياط ماسة فى شهر ذى الحجة (مايو سنة ١١٤٧م)، وكان جيش الماسى يضم نحو الستين ألفاً بينهم سبعمائة من الفرسان، بينما كان الجيش الموحدى يضم ستة آلاف فارس ومثلهم من الرجالة، وحدث اللقاء بين الجيشين يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة سنة ٥٤١هـ (السابع من مايو سنة ١١٤٧م) ودارت بينهما معارك عنيفة، انتهت بانتصار الموحدى وقتل محمد بن عبد الله بن هود على يد الشيخ أبو حفص عمر، فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيهاً له بخالد بن الوليد، ومزق جيش الماسى شر ممزق، وحمل الموحدون جثته إلى مراكش حيث صلبت على باب الشريعة من أبواب مدينة مراكش.^(١)

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ، ص ٣٠، ٣١. مؤلف مجهول الطل النوفية، ص ١٤٦، ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٤٩، ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٢٢٢، السلفى التامبرى، الاستقصا، ج٢، ص ١١٠، ١١١، عثمان، عصر المرابطين، ص ٢٦٩، ٢٧٠، حركات المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٣٨.

Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.189.

ظلت سلا على عصيانها رغم اخماد عبد المؤمن بن علي لثورة محمد بن عبد الله بن هود، إذ كان لازال بها والد الثائر الماسي، ففي تلك الفترة، فر يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوي أو ابن الصحراوية من فاس عقب سقوطها في أيدي الموحدين إلى سبتة، ويرى البيهقي أن هذا القائد الصحراوي حينما فر إلى مدينة سبتة، أرسل الخليفة عبد المؤمن بن علي وراءه صاحب البحر أبو الحسن علي بن عيسى بن ميمون الذي كان قائداً لأسطول المرابطين ثم انضم إلى الموحدين، فحاصر ابن ميمون سبتة بأسطوله، فخرج إليه الصحراوي، وقال له: أريد أن يكون توحيدي على يديك يا أبا الحسن، فقال له: نعم أحملك إلى الخليفة، فلما أنس له ابن ميمون، نزل من سفينته، وأراد الجلوس معه، ولكنه لح في وجه الصحراوي الفضب فلما أراد العودة إلى سفينته وثب به الصحراوي وقتله (١)، ثم اتجه الأخير إلى مدينة طنجة، ولكنه وجدها على أهبة الاستعداد للدفاع عن نفسها فغادرها إلى مدينة سلا- وكان بها كما سبق أن أشرت والد الثائر الماسي- ورغم عصيان سلا، إلا أن الثائر الماسي لم يكن من انصار المرابطين، فحدث الصدام بينه وبين الصحراوي، فقام الأخير بقتله وقطع رأسه ورماه في البحر سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وأخضع سلا لنفوذه وسلطانه. وكان يحيى الصحراوي جندياً عظيماً وفارساً جريئاً، وكان يعتزم أن ينزل إلى ميدان تضطرم فيه الثورة ضد الموحدين، وكانت المنطقة الساحلية الممتدة من سبلا جنوباً حتى أراضي برغواطة منطقة لمقاومة الدعوة الموحدية ومحاولة تحطيمها، والظاهر أن البرغواطيين قد عادوا إلى الظهور مرة أخرى بعد تغلب

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٠٦-١٠٧؛ المراكشي، المعجب، ص ١٩٩-٢٠٠

المرابطين عليهم على أيام يوسف بن تاشفين، فحاربهم عبد المؤمن بن علي، فاستنصروا بيحيى بن أبى بكر الصحراوى، فنزل الصحراوى إلى هذا الميدان واجتمعت إليه الكثير من القبائل البربرية المعارضة للموحدين، فلما علم عبد المؤمن بهذه الحشود الضخمة بعث لقتالهم القائد يصلا سن، فسار إلى سلا ودخلها بالسيف وعهد بولايتها إلى موسى بن زيرى الهنتاتى، ويشير ابن عذراى إلى أن أهل سلا أرسلوا وقدأ إلى مراکش لإعلان الطاعة والولاء للموحدين، فاشتراط عليهم عبد المؤمن بن علي بهدم سور مدينتهم، فهدم، فصقح عن دمائهم^(١)

أصبحت سلا مركزاً لتجميع الجيوش الموحدية سواء الذاهبة منها إلى إفريقية أو تلك التى تقصد العبور إلى الأندلس، وكانت المنطقة الواقعة شمالاً فيما بين سلا وسبتة تحتوى عدة مراكز كبيرة لتخزين المؤن اللازمة لإمداد الجيوش الذاهبة والعائدة، ولذلك أصبحت سلا موضع اهتمام ورعاية من جانب خلفاء الموحدين. ففى عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) تحرك عبد المؤمن بن علي من مراکش إلى سلا ليستطلع منها أحوال الأندلس، وأمر أن تنشأ قسبة وقصر فوق اللسان الممتد فى البحر أمام سلا، ويأن ينشأ سرب يستمد الماء من عين غبولة القريبة لإمداد المحلة الموحدية، وأمر بإحضار العمال وأجرى الماء حتى أوصله إليها فى شهرين فقط، وقد مكث الخليفة خلال هذه الزيارة بسلا خمسة شهور، وقد أمر عبد المؤمن بن علي باستدعاء وفود أهل الأندلس، فوصلوا إلى سلا نحو الخمسمائة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد، فخرج لاستقبالهم الوزير أبو ابراهيم إسماعيل الهزرجى^(٢) والوزير أبو حفص عمسر الهنتاتى والوزير

(١) راجع التفاصيل فى ابن عذراى، البيان المغرب، حـ، ص ٢٥ - ٢٧، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٧٢، ٢٧٤.

(٢) أبو ابراهيم اسماعيل بن يسلمى الهزرجى، وكان من طلبة المهدى، ثم عهد إليه المهدى بالقضاء والقيادة العسكرية، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدى بن تومرت، وإلى يرجع الفضل فى إخماد ثورة ضد عبد المؤمن فى صغرى. ويذكر عبد الواحد المركشى من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاقتياله، وكذلك فداه لعبد المؤمن بن علي بمبيته فى خبائه بمصره على يد بعض من ائتمر به

الكاتب أحمد بن عطية^(١) وأشياخ الموحدين على نحو المليون من سلا، وأنزلوهم خير منزل وأضافوهم خير ضيافة، ثم سمح لهم بالدخول على عبد المؤمن بن علي بعد ثلاثة أيام وذلك يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٥٤٦هـ (العشرون من أبريل سنة ١١٥١م) وأشار الوزير الكاتب أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج^(٢) فوصف سوء أحوال المسلمين وما يعانونه من تهديد النصارى لهم، ثم تلاه أبو بكر بن

= راجع: البليق، أخبار المهدي بن تميم، ص ٢٢، ٧٠، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٢٢، ابن

أبي ذر، روض القرطاس، ص ١١٤؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥.

مؤلف مجهول، الغلل الموشية، ص ٨٨؛ السلاوي الناصري، الاستقصا: ج ٢، ص ٩٦، ١٠٧.
Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.59, 102, 103, 110, 126, 135, 172, 28, Vol, 11, P.592, 607, 609.

(١) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاء المراكشي، ولد بمدينة مراكش وأصله من قرية بناحية طرطوشة بالاندلس، كان من كبار الأدباء والكتاب أيام المرابطين، فقد تولى الكتابة على بن يوسف بن تاشفين، ثم لما سقطت دولتهم أختفى إلى أن خلا عنه عبد المؤمن بن علي واستكتبه ثم استوزره، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبي عقيل في أواخر سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م).

راجع: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٠٠، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٢٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، [٢، ص ٢٧، ٢٥، ٣٦، ٣٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ح ٥، ص ٢٧١ - ٢٧٩.

(٢) أبو القاسم إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصاري، من أهل قرطبة، وها نشأ ودرس على أعلام عصره بها كما درس بقرطبة ومالقة و المرية، وكذلك برع في الفقه والحديث وتولى القضاء بعدة جهات في قرطبة، ولما انهارت دولة المرابطين خاض قرطبة إلى قرطبة حيث تولى القضاء بها، ومن قرطبة أتجه إلى ميورقة وبقي بها حتى توفي سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م).

راجع: ابن الأبار، التكملة، ج ١، ٣٢٢.

الجد^(١) بخطبه بليقة استحسنتها عيد المؤمن بن علي: "ووصل الجميع كلا على قدره، وقضاء حاجاتهم وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف إلى بلادهم، فانصرفوا فرحين مفتبين" بعد أن امتدت اقامتهم في سلا خمسة عشر يوماً^(٢).

وفي نفس العام (١٥٤٦هـ/١٥٥١م) قرر عبد المؤمن بن علي فتح مدينة بجاية^(٣) لاعتباراتها في مقدمتها استيلاء النورمانيين على مدينة المهدية^(٤)

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد، وأصله من لبلة ويها ولد سنة ٤٩٦هـ (١١٠٢م)، وتلقى بها دراسته الأولى، ثم درس بقرطبة وإشبيلية، ونبع في دراسة الفقه والحديث، وقدم للشورى بإشبيلية وكان في عصره لقيه الأندلس والمغرب وحافظهما نون مثالس ولامنازع كما كان أبرز أهل عصره في التمكن من مذهب مالك، وذاع صيته في المغرب والأندلس، وتبوأ ذروة النفوذ والجاه في ظل الدولة الموحدية، وتوفي بإشبيلية في الرابع من شوال سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م) عن تسعين عاماً. راجع: ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص ٢٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان للمغرب، ج٥، ص ٤٢-٤٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٩٧، ٢٦٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص ٢٢٥؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ١١٩، هناك، عصر المرابطين، ص ٢٧٩؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٢٢٠.

(٣) بجاية مدينة Bougie بالجزائر من أعمال قسنطينة تقع على ساحل البحر المتوسط، أسس الفينيقيون هذه المدينة، وبعدها سبلة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلاتي ثم غرقت بعد ذلك على أيدي الوندال والبربر وبقيت على هذه الحال حتى بناها من جديد الناصر بن طئاس بن حماد بن زيري الصنهاجي سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٦م) وسماها الناصرية ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التي تخيم حولها، وفي عهد المنصور بن الناصر الحمادي صارت بجاية عاصمة لدولة بني حماد بدلاً من قلعة حماد، فكثرت عمرانها وهاجر إليها عدد كبير من أهل الأندلس وعقدت معها الدول الأوربية معاهدات تجارية واقتصادية حتى صارت من أكبر مدن إفريقية. ثم استولى الموحدين عليها وظلت تحكم حكمهم ثم خضعت للحفصيين.

راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٨٧، الإدريسي، صلة المغرب، ص ٦٧، ٧٢؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٧٦.

(٤) تقع المهدية على ساحل المغرب الأدنى وهي على اسم عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين

سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وعيّنهم فساداً في الثغور الإفريقية وسيطرتهم على الشاطئ الأفريقي من مدينة طرابلس الغرب إلى مدينة تونس، وقد أحاط عبد المؤمن على حملته إلى بجاية بالسرية التامة ولكي يضلل أعداءه فيما يتجه إليه وصل إلى مدينة سلا وبعد أيام معنودة اتجه إلى مدينة سبتة موهماً أنه سيعبر إلى الأندلس ولكنه اتجه بجيشه فجأة صوب الشرق، وسار مسرعاً نحو مدينة بجاية واستولى في طريقه إليها جزائر بني مزغنة^(١) وكان يحكمها القائم بن يحيى بن العزيز والى عهد بجاية، فالتجأ القائم إلى والده

= في بلاد المغرب، والسبب في بنائها كعاصمة جديدة لل دولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدي بالحاجة إلى حصن يحتسب فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه، وإذا اختار المهدي عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقس كي يتسنى له الاعتماد على أسطوله في حماية المدينة، وقد أشرف المهدي بنفسه على بناء مرسى المهديّة، كما أنشأ على ساحلها داراً كبيرة للصناعة ثم بنى المهدي حولها أسواراً محكمة ذات أبواب ضخمة. ويقال إنه لما فرغ من بنائها قال: آمنت اليوم على الفاطميين.

راجع: مؤلف مجهول. الاستبصار، ص ١١٧، ١١٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٥، ٣٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(١) جزائر بني مزغنة هي مدينة الجزائر الحالية، وكانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم إيكسيوم ثم خربت أثناء هجمات الوندال وثورات البربر وأصبحت مستقراً لقبيلة بربرية تدعى بني مزغنة. وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أسس بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة هناك دعاها جزائر بني مزغنة. وقد وصفها البكري ووصف ما بها من آثار قديمة وقال بلقا كانت مرسى شتوية ومعبراً إلى الأندلس، ثم خضعت لنفوذ المرابطين والموحدين.

راجع: البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ص ٦٦، ٨٢، مؤلف مجهول. الاستبصار، ص ١٢٣، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٦٤.

يحيى بن عبد العزيز ولى عهد بجاية، فالتجأ القائم إلى والده يحيى ببجاية الذى أسرع بالفرار إلى مدينة قسنطينة،^(١) بينما تمكنت القوات الموحدية من حصار بجاية ودخلوها فى شهر ذى القعدة سنة ٤٤٧هـ (فبراير سنة ١١٥٢م)، ثم عاد عبد المؤمن بن على فاستراح فيها قرابة الشهرين ثم غادرها إلى مراكش.^(٢)

(١) قسنطينة مدينة قديمة أسسها الفينيقيون، ثم خربت خلال العصر الرومانى، إلى أن جاء الامبراطور البيزنطى قنستطنطين الأول فأعاد بنائها وسميت منذ ذلك الوقت قسنطينة، وقد تماقت عليها الدول الاسلامية التى حكمت بلاد المغرب كالممانيين والفاطميين وقد وصفها صاحب الاستبصار بقوله: "ومدينة قسنطينة حصينة فى نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بالبريقية أمنع منها، ليس لها فى المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس. راجع: الاستبصار، ص ١٦٥، ١٦٦؛ الإفريسى، صفة المغرب، ص ٩٤، ٩٥؛ ابن القطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٧٠.

(٢) البيهقى، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١١٢، ١١٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٥، ص ٤٥، ٤٦؛ مؤلف مجهول، الحلال المرشدة، ص ١١٢، ١١٣، ابن أبى ذرع، روض القلطاس، ص ١٩٧، ١٩٨؛ السلاوى التامرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢، هناك، عصر المرابطيين، ص ٢٨٧-٢٨٤. Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.160-167.

وفي سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) شهدت سلا حادثاً على درجة كبيرة من الأهمية، ففي هذا العام سار عبد المؤمن بن علي من مراكش إلى سلا لأخذ البيعة بولاية العهد لابنه اليكر محمد، فقد حرص عبد المؤمن على توريث أبنائه الملك من بعده، ولذلك نراه قد مهد لذلك بأن استدعى قبيلته كومية ليحتفى وراء تلك العصبية القبلية، كما استغل عنصراً جديداً في الدولة وهم العرب في سبيل تحقيق غايته من تولية ابنه محمد وذلك حين أمره أن يكاتب أمراء العرب الهلالية بأن نساءهم وأبنائهم في الحماية والرعاية ويطلب منهم الحضور إلى الحضرة لاستلامهم - وكان عبد المؤمن قد أمسك بهم كاسرى في إحدى حملاته ضد العرب الهلالية - حتى إذا حضروا إلى الحضرة وجدوا الترحيب والتكريم والأموال الجزيلة مما دفعهم للاقامة في الحضرة وقد امتلأت قلوبهم بالحب والإجلال للخليفة وابنه، فلما أطمأن عبد المؤمن بن علي إلى ولانهم أوحى إليهم بمطالبتة تنصيب ابنه ولياً للعهد، ففعلوا ذلك، إلا أن عبد المؤمن تظاهر في بادئ الأمر وحتى لا يبدو أمام أشياخ الموحدين وزعمائهم بمظهر الذي يريد أن يحول الدولة إلى ملكية وراثية يضاف إلى ذلك احترامه لشخصية أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين عبد المؤمن بن علي وبين أبي حفص بأن يتولى الخلافة خلفاً له، وقد بدأت وفود العرب تقد على سلا بإيعاز من عبد المؤمن بن علي، وأبدوا رغبتهم صراحة في اختيار ابنه محمد لولاية عهده، فأمر عبد المؤمن بإحضار أشياخ وفقهاء الموحدين وطلبتها وعمالها إلى سلا، وشاورهم في هذا الأمر، ويبدو أن أبا حفص خشى على نفسه، فأعلن خلع نفسه وأعلن تأييده لتلك الرغبة في اختيار الأمير محمد، وكذلك وافق الأشياخ والفقهاء والطلبة والعمال على هذا الاختيار، فتمت البيعة بولاية العهد لمحمد

إبن عبد المؤمن بمدينة سلا، وصدرت منها الرسائل إلى جميع الجهات لأخذ
اليعة، كما وفد الشعراء على عبد المؤمن بسلا للتهنئة، ومكث عبد المؤمن
بسلا بقية عام ٥٤٨هـ (١١٥٣ - ١١٥٤م).^(١)

وفى عام ٥٥٠هـ (١١٥٥م) سار عبد المؤمن بن علي من مدينة
مراكش إلى مدينة سلا وعلى حد قول البيهقي إن الخليفة بقي بها قرابة
عامين،^(٢) ولاشك أن توجه عبد المؤمن بن علي إلى سلا وبقائه بها هذه
الفترة الطويلة كان يهدف في المقام الأول مساندة جيوش الموحدين في
الأندلس وإمدادها بالرجال والعتاد. وفي غرة شوال سنة ٥٥٣هـ (نوفمبر
سنة ١١٥٨م) عاود عبد المؤمن بن علي زيارته لمدينة سلا حيث وفد عليه بها
الصحراويون وأشياخ جزولة وأعلنوا الولاء والطاعة له،^(٣) كما وفد عليه بسلا
وفد أهل الأندلس ومنهم الأديبة والشاعرة حفصة المعروفة بابنه الحاج
الركوني.^(٤)

(١) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٤١؛ ابن عذري، البيان المغرب، ح ٤٩؛ ابن أبي
زرع، روض القرطاس، ص ١٩٤؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٢، عنان، عصر
المرايطين، ص ٢٣٨، ٢٣٩؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر
المرايطين والموحدين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) البيهقي، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) حفصة بنت الحاج الركوني من أهل غرناطة، وكانت فريدة زمانها في الحسن والظرف والأدب ولها
العديد من القصائد الشعرية، وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي قد سمع عنها وعما توصف به من
الجمال الباهر والأدب الظاهر، فأمر بإحضارها، فتشده تستدعي منه تظهراً لموضع فقالت:

ظل عبد المؤمن بن علي في مدينة سلا حتى تكامل ورود الجيوش الموحدية من أنحاء بلاد المغرب استعداداً لاسترداد مدينة المهدية من أيدي النورمانديين أصحاب صقلية، فخرج من سلا في العاشر من شهر صفر سنة ٥٥٤هـ (فبراير سنة ١١٥٩م) يصحبه الحسن بن علي الصنهاجي أمير^(١) إفريقية السابق، وقد نجحت الجيوش الموحدية في دخول مدينة المهدية يوم عاشوراء (الحادي عشر من المحرم) سنة ٥٥٥هـ (الحادي والعشرين من يناير سنة ١١٦٠م)^(٢).

== يأسيد الناس يامن	يقول الناس رفته
أمان على بصك	يكون للدهر عده
تخط يمتاك فيه	(المعدل له وحده)

فاجعب بها عبد المؤمن، وواقع لها بالقرية المعروفة بركونة وإليها تنسب حفصة.

الزركشي، تاريخ النواتين الموحدية والحفصية، ص ١٠، ١١.

(١) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي. ولد بمدينة سوسة في شهر رجب سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م) وعهد إليه أبوه علي بن يحيى بن تميم بالأمر في حياته، فلما تولى سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) بويع بإمارة إفريقية ومازال حتى استولى على المهدية رجار الثاني ملك صقلية سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) فالتحق الحسن بحرب رباح ثم أراد الرحيل إلى مصر ولكنه لم يتمكن فانتفى به المطالب إلى البقاء في الجزائر ومازال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي فوالاه الحسن وألق به وصحبه إلى إفريقية.

راجع: ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي): نظم الجمان في أخبار الزمان، نشر وتحقيق د. محمود علي مكي، الرباط، ١٩٦٤، ص ٢٤؛ ابن حذاري، البيان المغرب، ج ٥، ص ٣١٢.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٦٧؛ ابن خلدون، المعبر، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) مؤلف مجهول، الظل الموشية، ص ١١٧، ١١٨؛ ابن أبي ذرع، روض القرائس، ١٩٧ - ١٩٩.

السلوي التامري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٧٦؛ عتات، عصر المرابطين، ٢٩٤، ٢٧٦.

Julien (André). Histoire de l'Afrique du nord de la conquete arabe a 1830, Paris, 1952, P.110 -111.

وفى يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٨هـ (التاسع من شهر فبراير سنة ١١٦٣م) خرج عبد المؤمن بن على - كعاقته - من مدينة مراكش إلى مدينة سلا قاصداً العبور إلى الأندلس للجهاد، فلما وصل إلى سلا للإشراف على إعداد وتجهيز الجيوش الموحدية كتب إلى جميع بلاد المغرب وإفريقية يستنفرهم للجهاد، فاجتمع له ما يزيد عن مائة ألف فارس ومثلهم من الرجال، فلما استوفت لديه العشود وتكاملت، أصيب بمرض أشرف منه على الموت، فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد واسقاط اسمه من الخطبة، وقد أوضح ابن صاحب الصلاة الأسباب المباشرة فى عزل الأمير محمد عن ولاية عهد الموحدين فقال: "وعند الانصراف منها - أى انصراف عبد المؤمن بن على من زيارته لقبر المهدي بن تومرت بتيتمل سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣م) - فى الطريق ظهر من جرحه محمد المخلوع بما وجب عليه فى اثر ذلك الخلع، وذهب فى جانبه الصدع من شرب الخمر المحرمة وظهور السكر طيه، وذلك أنه تقيأها على ثيابه وأطنا به وسرجه وهو راكب على فرسه فى المحلة على مرأى من عظماء الموحدين وأشياخهم والعالم من المؤمنين الزائرين، فصاح عند أبيه نكروه وتخليطه وسكره فاسقط هو بفعله من الأمر نفسه وكسف بالنهار شمسَه (١) وقد جمع عبد المؤمن بن على أشياخ الموحدين وأخبرهم برغبته فى عزل ابنه محمد وقال لهم: " قد جريت ابنتى محمد فلم أجد فيه نجابة تصلح للأمر ولا يستحق الولاية ولا يصلح لها إلا ابنى يوسف وهو أولى بها فقدموه لها

(١) المن بالإمامة، ص ٢١٦، ٢١٧.

ووصاهم بها فبايعوه وعقدوا له الولاية^(١). وهكذا شهدت سلا عزل الأمير محمد عن ولاية عهد الموحدين واختيار الأمير يوسف بن عبد المؤمن لولاية عهد الدولة، ثم توفى عبد المؤمن بن علي بمحلقته في سلا سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣).^(٢) وقد ذكر ابن مطروح في تاريخه انه لما توفى عبد المؤمن بن علي كان ولده ولى عهده أبو يعقوب يوسف بمدينة إشبيلية، فأخفى خبر موته وأرسل في استدعائه، فوصل على وجه السرعة إلى سلا فتمت له البيعة بمحلة أبيه في سلا.^(٣)

لم تشر المصادر التاريخية إلى مدينة سلا خلال الفترة التي تلت عصر الخليفة عبد المؤمن بن علي إلا إشارات قليلة، ففي غرة ربيع الأول سنة ٥٦٠هـ (السادس عشر من يناير سنة ١١٦٥م) تحرك السيد الأعلى أبو حفص أخى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من مدينة مراکش إلى مدينة سلا، فاقام فيها نحو الشهر للنظر في مصالحها.^(٤) وكان أهالي مدينة

(١) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ٢٢١؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ١٩٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٩.

(٢) عن وفاة عبد المؤمن بن علي بمدينة سلا والاختلاف بين المؤرخين حول تحديد اليوم والشهر الذي توفى فيه عبد المؤمن. راجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٨٢؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٨١، ابن عذري، البيان المغرب، ٣-، ص ٧٩؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٤؛ مؤلف مجهول، الطل الموشية، ص ١٥٧؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ٧٠٢؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٩.

Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.209.

(٣) ابن عذري، البيان المغرب، ج ٥، ص ٨٢.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٢٥٠، ٢٥١.

قفصة^(١) قد ثاروا على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وقدموا على أنفسهم رجلاً منهم يعرف بعلى بن الرند، فتملكهم إلى عام ٥٧٦هـ (١١٨٠م)، فسار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بنفسه إلى قفصة وحاصرها؛ و نصب عليها آلة الحرب، وعمل للحجل الحاملة للآلات قلعواً ضريبتها الرياح فمشتها فرعب أهل قفصة، واستأمنوه فأمنهم وقطع غابتها وزيتونها، وقيض على بن الرند ونقله إلى مدينة مراکش ولكنه لم يلبث أن عفا عنه وولاه على مدينة سلا وأمره بالنظر في مصالحها^(٢).

وفي عام ٥٧٩هـ (١١٨٤م) رأى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أنه لابد من إعادة تنظيم حركة الجهاد في الأندلس، وقرر الخروج بنفسه على رأس الجيوش الموحدية المجاهدة، ففي يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ٥٧٩هـ (فبراير ١١٨٤م)، خرج الخليفة من مدينة مراکش

(١) قفصة Gafsa مدينة من مدن الجريد جنوب تونس، وهي مدينة قديمة وكانت تسمى عند الرومان كفسا Gapsa يصفها صاحب الاستبصار بقوله: " وكان اسم مدينة قفصة مدينة الحنية لأن فيها بنياناً قديماً مثل الحنية فكانت تسمى بها، وفي داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفاته وكثرته. ولديها قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل. وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التي ليس في بلد مثله؛ فيها تلاح عجيب جليل زكى الرائحة يسمونه السدس لا يوجد في بلد مثله؛ وكذلك الرمان والأترج والموز لا يوجد مثله في بلد. وقفصة أكثر البلاد فسقاً حتى أنني أظن أنه ليس بإفريقية فسقاً إلا فيها ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب وبلاد الأندلس ومصر. " ويقول البكري: " وقفصة مدينة مبنية كلها على أساطين وطينان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل بأحكام عمل. وجباية قفصة ألف دينار..

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٥٠ - ١٥٤؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، ص ٤٧.

(٢) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٥٠، ١٥١؛ الحميري، الرخس المعطار، ص ٤٧٩.

ووصل ركبه الضخم إلى مدينة سلا في الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ (فبراير سنة ١١٨٤م)، فلما وصل إلى سلا أتاه قائد البحر محمد بن أبي إسحاق بن جامع^(١) من إفريقية، فأعلمه بهدونها وسكونها، ثم تحرك من سلا يوم الخميس الموافق للثلاثين من ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ (الخامس عشر من شهر مارس سنة ١١٨٤م) فنزل بظاهرها ثم أقطع عنها في اليوم التالي إلى مدينة مكناسة حيث قضى بها عيد الاضحى المبارك.^(٢)

(١) تعتبر أسرة بنو جامع من شهيرات الأسر في عصر الموحدين وهي ترجع في نسبها إلى إبي ابراهيم اسحاق بن جامع، وأصل آيائه من الأندلس من مدينة طليطلة وقد نشأ بضيعة تسمى روطا بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسي ثم انتقل إبراهيم بن جامع إلى بلاد المغرب وتعرف على المهدي بن تومرت ودخل في دعوته ولازمه واعتبره البيهقي من أهل داره، وقد خدم عبد المؤمن ابن علي وهاشم في قصره وفي قصر عبد المؤمن ولد ابنه إدريس، الذي سيتولى الوزارة والحجابة لكل من عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف بن عبد المؤمن، وقد ظل أبو العلاء إدريس وأخوه ويثونه محل تجله واحترام إلى أن نكبهم الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٣هـ (١١٧٨م). أما قائد البحر محمد بن أبي إسحاق بن جامع فقد تولى قيادة الأسطول الموحدى المربط في مدينة سبتة وكان له دور كبير في أعمال الجهاد البحرى ولاسيما ضد مملكة البرتغال. وقد أنجب محمد إبن أبي إسحاق بن جامع عدداً من الأولاد كان أشهرهم وأبرزهم أبو سعيد عثمان الذي تولى الوزارة للخليفة الموحدى محمد الناصر لدين الله ولابنه أبي يعقوب يوسف المستنصر بالله وقد تولى أبو سعيد عثمان ٦٢١هـ (١١٢٤م).

ولاجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٢٨، ٢٩. ابن القطان، نظم الجمان، ص ٣٢، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٩، ٢٤٠، العياضى (د. أحمد مختار): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، الاسكندرية، ص ١٦٢ - ١٦٦؛ عثمان، عصر الموحدين، ص ٩١، ٩٢. (٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢١٣؛ ابن خلدون، المعر، ج ٢، ص ٢٤١؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص ١٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٥٤.

ولما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثاني من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١١٨٤م) تمت البيعة بإشبيلية لإبنه أبي يوسف يعقوب المنصور وذلك يوم الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثلاثين من شهر يوليو سنة ١١٨٤م)، ثم عبر البحر من الأندلس إلى المغرب ونزل بمدينة سلا ويقول صاحب المعجب: "وبها (أي سلا) تمت بيعته واستجاب له من كان تلكاً عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن بعد ما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الاقطاع الواسعة^(١) وفي عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) أمر الخليفة بتقريب بنو حماد^(٢) من بجاية إلى مدينة سلا لاتهامهم بالتواطؤ مع بني غانية^(٣) بعد أن أرغمهم على تصفية أموالهم بها بشن يخس، كما غرّب غيرهم من المشاركين في

(١) عبد الواحد المراكشي، ص ٢٨٢، ٢٨٤.

(٢) انقسمت الدولة الصنهاجية في إفريقية والمغرب الأوسط في عهد الأمير بانيس بن المنصور بن بلكين في أواخر القرن الرابع الهجري إلى دولتين: الدولة الزيرية في إفريقية نسبة إلى زيري بن مناد الصنهاجي والدولة الحمادية في المغرب الأوسط نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري، وقد اتخذت الدولة الحمادية من مدينة القلعة منزلاً ومقرّاً ثم بجاية التي بنيت من جديد في عهد الناصر إبن هئناس بن حماد سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م). وعندما قامت دولة المرابطين في بلاد المغرب الأقصى ساد التوتر بين المرابطين والحماديين ولكنه لم يقد إلى صدام مسلح بين الطرفين، ولكن عندما قامت دولة الموحدين تمكنت من الاستيلاء على بجاية وانتهت دولة بني حماد.

راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ٨٥ - ١٠٠؛ ابن خلدون، المبر، ج٦، ص ٢٢٢، ٢٤٩، ٣٦٠، ٣٦١؛ سالم، المغرب الإسلامي، ص ٦٤٩ - ٦٥٥.

(٣) ينسب بنو غانية إلى أهم غانية التي كانت من جوارى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين. تزوجها علي بن يحيى القزالي فولدت له محمداً ويحيى ابني غانية. وقد عين علي بن يوسف يحيى بن غانية على بلنسية ومرسية، ثم ولاء تاشفين بن علي على قرطبة سنة ٥٢٨هـ (١١٤٤م)، وقد شارك

هذه المؤامرة بعد أن صفت أموالهم وديارهم^(١) وفي أواخر عام ٥٩٠هـ (١١٩٥م) عزم يعقوب المنصور التوجه إلى الأندلس للجهاد، وكتب في استدعاء الجيوش والقواد، وسار إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها^(٢)، وينفرد السلوى الناصرى بالقول بأن الخليفة يعقوب المنصور قد توفي بمدينة سلا^(٣).

= في إخماد ثورة ابن حمدين في قرطبة ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وقد أبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغه أنباء استئصال سلطان الموحدين، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية حتى يكون سداً بينه وبين الموحدين. واستقر يحيى بقرطبة وتنتقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فإقام بها شهرين ثم توفي في الرابع من شعبان سنة ٥٤٣هـ (ديسمبر سنة ١١٤٨م)، أما محمد بن غانية فقد ولاء علي بن يوسف على الجزائر الشرقية سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م) وحين قامت دولة الموحدين لم يخضع بنو غانية لحكمها، وظل الجاهليان في حروب مستمرة حتى عام ٥٩٥هـ (١٢٠٢م) حينما استولى الناصر الموحدي على ميورقة وأخرج منها ابن غانية، بينما قسى عبد الواحد بن أبي حفص على يحيى بن غانية آخر زعماء هذا البيت نفيه في الفريفة عام ٦٠٦هـ (١٢٠٩م).

راجع: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٠، ٢٢١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ١٦٦ - ١٧١؛ ابن الخطيب، الأمل، ج١، ص ٣٤٣ - ٣٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٥٧.

٢٥٨: الزركشي، تاريخ الواتين، ص ١٥ - ١٨.
 Alfred Bel: Les Banou Ghanaya, Paris, 1903, P.50 - 100.

(١) ابن حنراي، البيان المغرب، ج٢، ص ١٨١؛ عثان، عصر الموحدين، ص ١٥٤.

(٢) السلوى الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص ١٨٥.

(٣) الاستقصا، ج٢، ص ٢٠٣.

وفي عام ٦٣٥هـ (١٢٣٨م) تعرضت مدينة سلا لهجوم من جانب عمر بن وقاريط،^(١) وكان ابن وقاريط عقب فراره إلى الأندلس قد استقر

(١) عمر بن وقاريط شيخ قبيلة مكسورة البربرية، أول إشارة وردت في المصادر التاريخية عنه تعود إلى عام ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) عندما عاث في نواحي مراكش وشارك في تخريب بلاد بكالة ومشل الخليفة الموحدي العادل في إخماد حركته. وعندما تولى المأمون الموحدي الخلافة كان عمر بن وقاريط على رأس المؤيدين والمناصرين له، فلما تولى المأمون تولى ابنه الرشيد الخلافة في مستهل المحرم سنة ٦٣٠هـ (١٨ أكتوبر سنة ١٢٣٢م) فقدم عمر بن وقاريط إلى مراكش بصحبة أولاد الخليفة المأمون إخوة الرشيد الصغار كي ينال عطف الرشيد ويقتله. ولما وصل إلى مراكش توثقت أواصر المودة بينه وبين السيد أبي محمد ابن محمد ابن أبي سعد عم الخليفة الرشيد. وكان عمر بن وقاريط شعوراً منه بكثرة جمعه وتوطد نفوذ قبيلته يكثر من الرغبات والمطالب، وكان الرشيد يستجيب إلى معظم رغباته، ولكنه لم يلبث أن أظهر العصيان للرشيد في طاعة منافسه يحيى المعتصم، فاضطر الرشيد لقتال عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم، وعندما اشتد القتال تنازل أنصار يحيى المعتصم وولوا الأديبار فاستولى سكر الرشيد على ما في محلاتهم. ولكن عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم أعادا تنظيم صفوفهما مرة أخرى وتمكنا من إلحاق الهزيمة بجيوش الموحدين وبخلوا مراكش وتولى يحيى المعتصم مقاليد الخلافة وذلك في أواخر عام ٦٣٢هـ (١٢٣٥م) ولكن الرشيد تمكن في العام التالي من استرداد عاصمته وأوقع الهزيمة يحيى المعتصم وعمر بن وقاريط، ففر الأخير إلى الأندلس ونزل لدى صديقه محمد بن هود الذي رحب به وشغله بملطه.

راجع: ابن عذري، البيان المغرب، ج٥، ص ٣٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٨، ٣١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٤٧؛ ابن خلدون، المعبر، ج٤، ص ٢٥٢، ٢٥٣؛ طائ، عصر الموحدين، ص ٣٦٤، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥٠٠.

بمدينة اشبيلية في كنف محمد بن هود^(١) وقرر الاستيلاء على مدينتي سلا وريباط الفتح، وأقنع ابن هود بأهمية هذا المشروع العسكري وكان يتولى سلا الفقيه أبو العلي مع زوجه الحرة فاطمة بنت المأمون أخت الخليفة الرشيد، وطلب عمر بن وقاريط من صديقه محمد بن هود أن يمدّه بسفيتين

(١) أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود الجذامي وينتمي إلى أسرة بني هود التي حكمت سرغسطة في زمن ملوك الطوائف. وقد ظهر هذا التأثير في بداية أمره في نواحي مرسية ونجح في دخولها وهو يرفع راية عباسية سوداء، يبيع له يمرسية في غرة رمضان سنة ٦٢٥هـ (١٤ أغسطس سنة ١٢٢٨م) وتسمى بأمير المسلمين ومعز الدين، ودعا للخليفة العباسي المستنصر بالله، وكتب إليه ببغداد، فبعث إليه بالقلع والمراسيم وسماه مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل على الله، وسرعان ما قوى أمره، وذاع ذكره وأطاعته الكثير من مدن الأندلس كشاطبة وجزيرة شقر وجيان وقربطة وغرناطة ومالقة والمرية، وقد حاول خلفاء الموحدين المأمون والرشيد القضاء على ثورة محمد بن هود إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ولكن ابن هود لم يلبث أن فقد الكثير من المدن الأندلسية الهامة التي استولى عليها النصارى إلى أن تولى سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م).

راجع: عبد الواحد الراكشي، المصجب، ص ٢٢٥، ٢٥٥؛ ابن عذراء، البيان المغرب، ص ٢٧٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، ص ١٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٥٠، ٢٥١؛ هنان، عصر الموحدين، ص ٣٩٠، ٣٩١.

Gaspar (Remiro): Historia de Murcia Musulmana (Zaragoza, 1903) P.276 -277.

ليدخل بهما سلاً فأعانه ابن هود بما طلبه ووصل إلى سلا: وكاد أن يستولى على ثغر سلا ولو ملكه لحصل على معقل الدنيا ارتفاعاً ووثاقه ومنعه^(١) ولكنه لقي مقاومة عنيفة واضطر إلى الانسحاب، فلما علم الخليفة الرشيد بما حدث أرسل إلى سلا في استقدام أخته فاطمة وزوجها وكذلك أمه التي كانت في زيارة لمدينة سلا^(٢).

وعندما توفي الخليفة الرشيد يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ (الخامس من ديسمبر سنة ١٢٤٢م) تمت مبايعة أبي الحسن على بن أبي العلاء إدريس بن يعقوب المنصور بالخلافة وتلقب بالخليفة السعيد، فندب الخليفة أبا حفص عمر ليكون والياً على مدينة سلا^(٣).

(١) ابن عذاري البيان المغرب، ح ٥، ص ٣٢٤.

(٢) ابن عذاري، المصدر السابق، ح ٥، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ السامري، الاستبصار، ج ٢،

ص ٧٤٥، ح ٢، عصر الموحدين، ص ٥٠٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ح ٥، ص ٣٨٨؛ ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشي):

الذيل والتكملة لكتايب الوصول والصلة تحقيق محمد بن شريفة، الرياط، ١٩٨٤م، السفر الأول،

القسم الأول، ص ١٧٨، ابن خلدون، العبر، ج ١، ص ٢٥٨؛ ح ٢، عصر الموحدين، ص ٥٢٧.

ولما توفي توفي الخليفة السعيد في شهر صفر سنة ٦٤٦هـ (يونيو سنة ١١٤٨م) عقد السيد أبوزيد أخو الخليفة اجتماعاً حضره أشياخ الموحدين، واقترح بعضهم أن يولى السيد أبو زيد الخلافة فامتنع الأخير، وأراد آخرون تقديم غيره من بنى عبد المؤمن، بينما اقترح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسي اختيار السيد أبي حفص عمر وإلى سلا: كطهارته وصيانتة^(١)، فوافق الحاضرون، وعقدت له البيعة بجامع المنصور بمدينة مراكش، وتوجه بها أحد أشياخ الموحدين ويدعى ابن أصلماط إلى سلا، ولكنه لقي السيد أبا حفص عمر مقبلاً من سلا إلى مراكش مع بعض الموحدين وأشياخ العرب، فبادر ابن أصلماط بمبايعته وأخرج إليه بيعة أهل مراكش، وضربت قبة لاجتماع الناس لقراءة البيعة، فقرئت، وبايعه جميع من حضر من الموحدين والفقهاء والأشياخ ثم ارتحل إلى مدينة مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها، وتلقب بلقب الخليفة المرتضى لأمر الله^(٢)، وقد ولى الخليفة المرتضى على مدينة سلا أبو عبد الله بن أبي يعلى الكومي^(٣).

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥، ص ٢٨٨: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٥٨؛ مئان، عصر الموحدين، ص ٥٢٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٩٩.

سلا في عصر بني مرين^(١)

كان المرينيون يتطلعون للقيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينتي سلا ورباط الفتح، لأن الاستيلاء على هاتين المدينتين من شأنه أن

(١) قامت الدولة المرينية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) واستمرت قرابة قرنين من الزمان. وكان بنو مرين فخذاً قوياً من أفخاذ قبيلة زناتة البترية. وقد غلب طابع البدولة والحل والترحال على حياة المرينيين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وكان من أبرز زعمائهم في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم جدهم الأعلى ماضوخ الزناتي، وبعد موت ماضوخ الزناتي تآلق نجم مرين بن ورتاجن بن ماضوخ الذي تفرعت عنه قبائل بني مرين، ثم توالى وتأسس قبائل زناتة في أحفاد مرين بن ورتاجن حتى وصلت إلى محمد بن وزير الذي كان له سبعة أولاد أبرزهم الشقيقان حمامة وعسكر اللذين توليا زعامة بني مرين، وعسكر هو والد المخضب أشهر زعماء بني مرين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وبعد مقتل المخضب على أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م) انتقلت زعامة بني مرين إلى الفرع المريني الآخر وهم أبناء حمامة بن محمد بن وزير، حيث تولى أبو بكر بن حمامة زعامة بني مرين، ثم خلفه ابنه أبو خالد محيو بن أبي بكر الذي أصيب في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) إصابة كانت السبب في وفاته. وعندما بدأ الضعف يبد في كيان دولة الموحدين ازدادات أطماع المرينيين في أملكهم. وكان أول قيام لبني مرين في سنة ٦١٣هـ (١٢١٦م) على عهد أميرهم أبي محمد عبد الحق بن محيو الذي احتل مكناسة وتازا ثم تدعمت أركان هذه الدولة في عهد الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق ثم عهد أخيه الأمير أبو معروف محمد بن عبد الحق ثم عهد الأمير أبو بكر بن عبد الحق، وأخيراً جاء الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وقضى على آخر الخلفاء الموحدين، أبي نبوس، واستولى على عاصمتهم مراكش سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م).

راجع عن بني مرين: عبد الواحد المراكشي، المصنف من ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، من ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠؛ ابن أبي زرع، الأخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٤، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٤١، ٦٠، ٦٤، ٦٦؛ ابن مزروق (محمد بن أحمد ابن أبي بكر): المسند الصحيح الحسن لسي مائز=

يقطع كل اتصال للموحدين بشمال المغرب الأقصى، فيبقوا وكانهم محاصرون في جنوب المغرب الأقصى. وكان الخليفة الموحدى المرتضى يستشعر موضع الضربة القادمة للمرينيين، فقرر أن يبدأ هو بالهجوم على بنى مرين بهدف إيقاف زحفهم نحو مدينتى سلا ورياط الفتح وذلك بمنعهم من عبور وادى أبى رقراق إلى أرض تامسنا، وقد أغرى المرتضى وشجعه على القيام بهذه العملية العسكرية زعيمان من زعماء بنى مرين هما أبو عمران موسى بن زيان المونكاس، وأخوه على بن زيان، وكانا قد انشقا على الأمير أبى بكر بن عبد الحق المرينى ولحقا ببلط الموحدين بمراكش سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) فأكرم المرتضى وفادتهما ورتب لهما أموالاً سخية. وقد أخذ الخليفة المرتضى يحشد حشوده، وأرسل إلى الاندلس ليرسلوا إليه فرقة

= ومحسن مولانا أبى الحسن، تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م، ص ١٠٩، ١١٠؛ ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل بن يوسف): روضة السرين في دولة بني مرين، الدار البيضاء، ١٩٦٧م، ص ١٠، ١٠١، ١٠٤، ١١٩؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٧، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج ٥، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابن أبى دینار (أبو عبد الله محمد بن القاسم القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، طبعة تونس، ١٩٦٧م، ص ١٤٥، ١٤٦؛ السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج ٢، ص ١٢٤، ١٢٥، ج ٣، ص ١٧، ١٨؛ سالم، المغرب الاسلامى، ص ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩؛ المعادى، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ المريرى (محمد عيسى) تاريخ المغرب الإسلامى والاندلس في العصر المرينى، طبعة الكويت، ١٩٨٥، ص ٩، ١٠، ١٨، ٢٠، ٢٢.

من الجند النصارى المرتزقة: ليتركبهم معه ويكونوا له أعواناً وانصاراً^١ وخرج المرتضى على رأس تلك الحشود من مدينة مراکش فى غرة رمضان سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م) فسار إلى تينمل لزيارة قبر المهدى بن تومرت وفى الخامس من رمضان من نفس العام اتخذ طريقه إلى مدينة سلا، ففضى بها عدة أيام للتعرف على أخبار بنى مرين، ثم تحرك من سلا للقاء المرينيين، فلما علم الأمير أبوبكر بن عبد الحق المرينى بتحرك الخليفة المرتضى للقائه، اجتمع مع زعماء بنى مرين، وقرروا مخاطبة المرتضى والكتابة إليه، وكتب أبو بكر بن عبد الحق المرينى طالباً منه المهادنة والمصالحة، وكاد المرتضى يميل إلى مسألتهم ومصالحتهم، ولكن وزراءه اعترضوا على ذلك وقالوا له: "لا يصلح فى مكان واحد ملكان".^(١)

حدث اللقاء بين الموحدىين والمرينيين بموضع يسمى أمن ملواينين (أو أميلواين) من أحواز مكناسة، وكان الأمير أبو بكر بن عبد الحق قد استعد لقتال الموحدىين، فكمن الكمائن للإيقاع بهم، فلما فشل المرينيون، لجأوا إلى الحيلة والدهاء بأن أشاعوا أن صلحاً عقد بين المرتضى الموحدى وبين

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ح ٥، ص ٣٩٩. ٤٠٠؛ عنان، عصر الموحدىين، ص ٥٤٠، ٥٤١.

المرينيين، وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الموحدية دون أن تصدر إليها الأوامر من المرتضى، فى حالة من الارتباك وفى غير نظام إلى مدينة أزمو^(١)، ولاحق بنو موين قلول الجيش الموحدى المنسحب وانتزعوا منه الكثير من العتاد والأمتعة، بينما انسحب الخليفة المرتضى إلى مدينة مراکش^(٢).

سارع المرينيون إلى استثمار هذا الانتصار الكبير، فتقدم الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى إلى بلاد فازان فافتتحها وأحكم قبضته على أوطان زناته وفرض الضرائب عليهم جميعاً، ثم تقدم صوب المغرب الأقصى وتمكن من الاستيلاء على مدينة سلا فى نفس العام (٥٤٩هـ / ١٢٥١م).

(١) أزمو Azemmur مدينة صغيرة على شاطئ المحيط الأطلسى، تقع على الضفة اليسرى

لمصب نهر أم الربيع. وقد اشتهرت ببساتينها الفناء الممتدة على ضفتى النهر.

راجع: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، تحقيق: د. أحمد

مفتار العبادى- الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ١٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ٢٠٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ح ٥، ص ٤٠٠، ٤٠١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤١؛ الحريزى،

تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٤.

وولى عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني،^(١) ولكن الجيش الموحدى سرعان ما أسترد سلا فى العام التالى (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وولى عليها أبو عبد الله بن يعقوب من أشياخ الموحدين،^(٢) ويرى د. الحريرى أن نجاح الموحدين فى استرجاع سلا كان بسبب وجود حامية مرينية صغيرة بمدينة سلا لم تستطع مقاومة الجيش الذى أرسله الخليفة المرتضى.^(٣)

أصبح وقف بنى مرين عن التقدم غرباً إلى مدينتى سلا ورباط الفتح بالنسبة للموحدين مسألة حياة أو موت، ولذا عزم الخليفة المرتضى المسير بنفسه لقتال بنى مرين، فخرج من مدينة مراكش سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) - كعادته - إلى تينملل للتبرك بزيارة قبر المهدي بن تومرت، ثم اتجه صوب مدينة سلا على رأس جيش ضخم بلغ ثمانين ألفاً من الموحدين والعرب والمصامدة والأندلسيين، ثم غادر سلا فى تلك الحشود إلى مدينة فاس لاستردادها من أيدي المرينيين، وحدث اللقاء بين الجيشين الموحدى والمرينى فى موضع يسمى بجبل بهلول جنوب فاس حيث دارت الدائرة على جيوش

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢؛ ابن القاضى، حلة الاقتباس، ق ١، ص ١٠٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ٢٥٢؛ غنان، عصر الموحدى، ص ٥٤٧؛ الحريرى، المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) السلاوى الناصرى، المصدر السابق، ج ٢، ٢٥٢، ج ٣، ص ١٧.

(٣) تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٥.

الموحدين وفي ذلك يقول ابن عذارى المراكشي: " فكان سيف أبي بكر عليه بالنصر مسلولاً، فنصر الله بنى مرين على عساكر الموحدين، فهزمهم، واستأصلوهم أعظم استئصال بعد ما دام بينهم القتال، فلم يك إلا لمحة لامح أو صيحة صائح، إلا وقد انهزمت جيوشهم المتكاثرة، وصارت بعد انتظامها متناثرة واستولت بنو مرين على ائقال الموحدين وعلى مضارب المرتضى وجماعته، وعلى ما كان من الأطعمة وغيرها فى خزائنه، وعلى الأحمال والبنال والجمال والأموال. (١)

توفى الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى فى شهر جمادى الآخرة، سنة ٦٥٦هـ (يونيو سنة ١٢٥٨م) بعد أن كان بنو مرين قد بسطوا نفوذهم على شرق وشمال المغرب الأقصى والسهول الغربية حتى وادى أم الربيع وبلاد الأطلس الأوسط، بينما انحصر نفوذ الموحدين فى المنطقة الواقعة بين وادى أبى رقراق ووادى أم الربيع وفيها سهل تامسنا وثغرا سلا ورياط الفتح. وقد ظهر خلاف حاد حول إمارة بنى مرين بعد وفاة الأمير أبى بكر إبن عبد الحق الذى لم يعهد لشخص معين من بعده بإدارة شؤون بنى مرين مما نتج عنه خلاف شديد بين الأمير أبى حفص عمر بن أبى بكر وبين عمه الأمير يعقوب بن عبد الحق فحين توفى الأمير أبو بكر كان يعقوب غائباً عن

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٤٠٦، إبن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٥٨، ٢٥٩؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٤؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص٢٥.

فاس مقر الحكم المريني حيث كان يقيم فى إقليم رباط تازا^(١) الذى كلفه أخوه الأمير أبو بكر بحكمه، بينما كان الأمير أبو حفص عمر حين وفاة والده متواجداً فى فاس، لذلك طمع عمر فى الإمارة ودعا الناس إلى بيعته ونصب نفسه أميراً على بنى مرين خلفاً لوالده، ولكن معظم أشياخ بنى مرين امتنعوا عن مبايعته. وما إن علم الأمير يعقوب بن عبد الحق بوفاة أخيه حتى توجه من رباط تازا إلى فاس، فالتف حوله أشياخ بنى مرين ورغبوا فى مبايعته مما كان سيؤدى إلى حدوث الفتنة والانقسام فى صفوف المرينيين، إلا أن الأمير يعقوب بن عبد الحق كان يسعى لإنهاء هذا الوضع المتنازح، فتنازل عن الإمارة لابن أخيه أبى حفص عمر على شرط أن يبقى ليعقوب إمارة المناطق التى كان أخوه الأمير أبو بكر قد أقطعه إياها وكلفه بحكمها وخاصة رباط تازا، وتم الاتفاق بينهما على ذلك، وعاد يعقوب إلى رباط تازا، ولكن أشياخ الموحدين لم يكونوا راضيين عن هذا الصلح، فلحقوا بيعقوب فى رباط تازا ويأيعوه على الموت بين يديه فلما رأى إصرارهم على

(١) تازا TAZA ومعناها بالبربرية الصفرة، تقع فى شرق مدينة فاس، وتمتاز تازا بموقعها الاستراتيجى مما جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حروبياً له خطورته، ومكانتها الحربية اتخذها الحسن بن إدريس الثانى مقراً حروبياً كما عنى بها عبد المؤمن بن على الموحدى لجهلها حصناً منيعاً، وفى أيام بنى مرين اتخذها أبو يعقوب المرينى قاعدة لغزو تلمسان والمغرب الأوسط. راجع: البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١١٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (٢) ص ٢١٠، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، هامش (٢) ص ١١٤.

توليه الإمارة أجابهم إلى مايدعونه ووافقهم على أخذ البيعة منهم برباط تازا، ثم زحف إلى فاس حيث تمكن من إيقاع الهزيمة بآبن أخيه أبى حفص عمر، ولكن الأمر انتهى بعقد الصلح بينهما وتم تنازل عمر عن الحكم لعمه يعقوب مقابل أن يقطعه مدينة مكناسة وأحوازها ويدخل يعقوب بن عبد الحق فاس في شهر شوال سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م).^(١)

وكانت سلا - كما سبق أن أشرنا - قد خضعت لحكم الأمير أبى بكر ابن عبد الحق المرينى عام ٦٤٩هـ (١٢٥١م) وعين عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والياً من قبله، وقد استطاع الخليفة المرتضى الموحدى طرد بنى مرين من سلا وإعادتها إلى حكم الموحدين بعد عام واحد (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وعين أبو عبد الله بن أبى يعلى والياً على سلا، بينما فر يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى حيث أقام فى بعض أحواز سلا يتحين الفرصة لاستردادها فلما بويع الأمير يعقوب بن عبد الحق بحكم بنى مرين سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) اتجه يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا مغاضباً لعمه يعقوب بن عبد الحق على أثر خلاف نشب بينهما، ولم تشر المصادر إلى أسباب هذا الخلاف إلا أنه يفهم من تأريخ ابن عذارى

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٥، ص ٤١٥؛ ابن أبى زرع، النخبة السنية، ص ٨٧، ٨٨؛ ابن خلدون، المعبر، ج٧، ص ٢٣٤، ٢٣٥؛ القلقشندى صبح الأعشى، ج٥، ١٩٦؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ٤٩٧؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٧، ص ٢٠، ٢١، ج٢، ص ١٠٥-١٠٨؛ عتات، عصر الموحدين، ص ٥٤٦.

المراكشي هذه الحادثة أن خروج يعقوب بن عبد الله على عمه كان بعد وفاة الأمير عمر بن أبي بكر المريني سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) إذ يبدو أن يعقوب بن عبد الله كان من انصار عمر بن أبي بكر وكان يرى أنه أحق بوراثته حكم بني مرين بعد أبيه أبي بكر، ولذلك حينما تولى الأمير عمر رأي يعقوب بن عبد الله أن الطريق أصبح ممهداً أمامه للمطالبة بحكم بني مرين وانتزاعه من يد عمه يعقوب بن عبد الحق خاصة وأنه في ذلك الوقت كان أكبر بني مرين.^(١) ولذلك لم يظهر يعقوب بن عبد الله في أول الأمر نواياه في الخروج على عمه، بل أظهر رغبته في الاستيلاء في بلاد تامسنا رغبة في الإقامة بعيداً عن أمور السياسة والحكم ورغبة في ممارسة هواية الصيد بها، وحين وصل يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا أخذ يراقب أوضاع مدينتي سلا ورباط الفتح رغبة في الاستيلاء عليهما واتخاذهما مقراً لظهور ثورته.^(٢)

أخذ يعقوب بن عبد الله يتأهب للاستيلاء على مدينة سلا وكان واليها الموحدى محمد بن أبي يعلى الكومي قد اتخذ كافة الاستعدادات لحماية المدينة والدفاع عنها: "فحفرها غاية الحفر بالسمار في الأسواق وبما أمكنه

(١) البيان المغرب، ص ٤١٦.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ص ٤١٦؛ ابن زرع، النخبة السنية، ص ٩٨؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٧، ص ٢٣٦؛ الصلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ٢١؛ المريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٩.

من الحرز، وعمل المعارض على كل باب من أبواب العنوتين المذكورتين وجعل الرماة والرجال يحرسونها ولاساعة من ليل أو نهار يفارقونها.^(١) اتجه يعقوب بن عبد الله برجاله ليلاً إلى مدينة سلا واستعملوا السلام في الاستيلاء على سورها، وتمكنوا من قتل القائمين على حراسته، ثم كسروا أبواب المدينة ودخلوها وقاموا بأعمال السلب والنهب طوال الليل والنهار بينما فر أهلها عنها أما واليها محمد بن أبي يعلى فقد فر هو الآخر في سفينة صغيرة إلى مدينة أزموور، وتملك يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني مدينتي سلا ورباط الفتح وذلك سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م).^(٢)

(١) ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ص ٤١٦، ٤١٧.

يقول ابن أبي زرع ويتفق معه كل من ابن خلدون والسلاوي الناصري أن يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني استطاع أن يدخل مدينة سلا باليلة والدماء، إذ دخلها بثلث من واليها الموحدي محمد بن أبي يعلى الكومي على أنه يريد دخول حمامها، حتى إذا ما دخل الدية اتجه إلى قصبتها واحتسب بها وأخرج عنها ابن أبي يعلى الذي لم يجد وسيلة إلا الفرار بجرأ إلى أزموور ومنها إلى مراکش.

راجع: الذخيرة السنية، ص ٩٢، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٧، ص ٢٣٦؛ الاستقصاء، ج ٢، ص ٢٩. وانظر أيضاً عثمان، عصر الموحدين، ص ٥٤٧، ٥٤٨؛ الحريزي، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص ٢٩.

A.Ballesteros Beretta: La Toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, Al- Andalus, 1943, Fasc, 1, P.114-115.

أعلن يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى -مقرب استيلائه على رباط الفتح وسلا- خلع طاعة عمه يعقوب بن عبد الحق وصرف عزمه على منازعته، وضم إلى صفوفه الكثير من جند بنى مرين، ونظراً لحاجته إلى السلاح الذى يقوى جانبه ويستطيع أن يواجه به قوات عمه السلطان ويحقق مطامعه فى الحكم بدأ فى الاتصال ومراسلة تجار السلاح الذين كثر ترددهم على مدينة سلا وقتئذ لتزويده بما يحتاجه، ولم يكتف بذلك إذ رأى أنه لابد له من قوة عسكرية تكون إلى جانبه فى قتاله لعمه السلطان لذلك بعث إلى الفونسو العاشر (العالم) Alfonso X El Sabio ملك قشتالة يطلب منه أن يمدّه بمائتى مقاتل ليكونوا عوناً له، وفى نفس الوقت اتهم أشياء سلا بالكتابة إلى عمه ومخاطبته سراً وخشى أن يبايعوه ويتمردون عليه، فأمر بنزع سلاحهم وكان على حد قول ابن عذارى: تدييراً خالياً من السداد والصلاح. (١)

وعندما وصل كتاب يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة، وجدها فرصة مناسبة للاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح ومد نفوذه إلى العدة المغربية مستغلاً فى ذلك ضعف يعقوب بن عبد الله وانشغال الأمير يعقوب بن عبد الحق بهريه ضد بنى عبد الواد

(١) البيان المغرب، ص ٤١٧.

ملوك تلمسان،^(١) كما كان الفونسو العاشر يتطلع إلى نقل الحروب الصليبية من الميدان الأسباني إلى الميدان المغربي ولاسيما أن البابوية كانت من أشد المتحمسين لتلك الحروب الصليبية، فهناك وثيقة بابوية مؤرخة في الثامن من أكتوبر عام ١٢٤٦م وصادرة عن المجمع الديني المنعقد في مدينة ليون برئاسة البابا أنوسنت الرابع تحض على نقل الحروب الصليبية إلى الشمال الأفريقي وتنص صراحة على ضرورة الاستيلاء على مدينتي سلا ورياط

(١) ينسب بنو عبد الواد إلى قبيلة بني الواد إحدى بطون قبيلة زناتة البربرية فهم أبناء عموه لبني مرين، ولقد خضع بنو عبد الواد في بداية أمرهم للدولة الموحدية حين قوتها وتمكثها، وكانوا على عدا مع أبناء عمرتهم المرينيين وكثيراً ما وقفوا إلى جانب الموحدين ضد بني مرين، كما استمكنت بهم الدولة الموحدية في القضاء على تحركات وثورات المرينيين عندما مما أدى إلى وجود عدا بين البيتين المريني والعبد الوادي. وعندما أقام المرينيون دولتهم في المغرب الأقصى لم يرض أي من الطرفين من أن يجاور الآخر فاشتد النزاع بينهما ولاسيما أن بنو عبد الواد أدركوا أن استيلاء بني مرين على المغرب الأقصى يشكل خطراً كبيراً على دولتهم وإذا لجأ بنو عبد الواد إلى التحالف مع الموحدين قبل سقوط دولتهم والهجوم المسكوي كلما سنحت لهم الفرصة على البلاد المرينية الشرقية المعادية لهم والتحالف مع بني الأحمر حكام غرناطة. وكانت حدود دولة بني عبد الواد تمتد طولاً من البحر المتوسط شمالاً إلى صحراء الجزائر جنوباً، و عرضاً من جبال سعيادة وادي منية شرقاً إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غرباً، وقد انتهت مملكة بنو عبد الواد سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م)

راجع: مؤلف مجهول الاستبصار، ص ١١١، ١١٢؛ ابن أبي زرع، الأخيرة السنية، ص ٢٥، ٢٦، ٦٥، ٨٩؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٧، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧؛ الطلقشدي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢٠٧، المصادر، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ١٩٨، ١٩٩.

الفتح الاستراتيجيتين^(١)، ولذلك أخذ الفونسو العاشر في تعمير أساطيله في ميناء أشبيلية، وحين اكتمل استعداده قرر إرسال حملة بحرية للاستيلاء على مدينة سلا^(٢).

ويبدو أن القائمين على حماية وحراسة السواحل المغربية قد استشعروا بوجود خطر يهدد الثغور المغربية ولاسيما المطلة على المحيط الأطلسي ولذلك قام الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي صاحب سبته بتحذير أهل السواحل المغربية، يؤكد ذلك الرسالة التي أرسلها الخليفة المرتضى إلى أبي القاسم العزفي يشكره على ما قام به من تحذير سكان السواحل المغربية وتاريخها الثالث من ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ (نوفمبر سنة ١٢٦٠م)^(٣).

A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P. 104-105.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ص ٤١٧، ٤١٨؛ السلاوي التامري، الاستقصا، ج ٢، ص ٢١؛ حنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٨؛ حركات، الجيش المغربي في عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد الثامن، ١٩٨٢م، ص ١٩، ٢٠، المرجع السابق، ص ٢٩.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114.

Miranda: La toma de Salé por la escuadra de Alfonso X, nuevos datos, R. Hesperis, année, 1952, 1 et 2, P.25-26.

(٣) أورد ابن عذاري نص هذه الرسالة ومنها: "وإذ طرأ في مدينة سلا جبرها الله سبحانه واستقلها ما قد اتصل بكم مما كنتم أبدأ منه تحذرون وبه لعلمكم بالعدو الكافر تتذرون. ولكن لم تزد الأقدار لمن فيها إلا انهالاً في الاضاعة وإنهالاً لمن محل في أعماله الساعة بعد الساعة، حين نفذ المقهور ووقع المحذور ولا حول ولا قوة الا بالله الذي تصير إليه الأمور".
راجع نص الرسالة في البيان المغرب، ص ٤١٩، ٤٢٠.

اتجهت الحملة البحرية القشتالية فى أواخر رمضان ٦٥٨هـ (سبتمبر ١٢٦٠م) إلى سواحل سلا، ومن المرجح أن القشتاليين قد لجأوا إلى التموية، حيث أرسلوا سفينة وراء سفينة أمام سواحل سلا متظاهرين أنهم جاوا لعقد الصفقات التجارية، بينما كان معظم الأسطول القشتالى مرابطاً على مقربة من سلا، ولذلك ظن أهل سلا أنهم تجار جاوا -كمعادتهم- للتجارة، بينما ظن يعقوب بن عبد الله أنها تحمل الجند المائتين الذين طلبهم من الفونسو العاشر ملك قشتالة، ولكن فجأة أخذت قطع الأسطول تتقدم بسرعة صوب سواحل سلا حتى بلغ عددها ما يقرب من سبع وثلاثين قطعة بحرية. وقد انتهز القشتاليون انشغال المسلمين بالاحتفال بعيد الفطر، فقاموا يوم الجمعة الثانى من شوال سنة ٦٥٨هـ (العاشر من سبتمبر ١٢٦٠) بالهجوم المباغت على مدينة سلا فدافع أهلها عنها دفاعاً مجيداً - بعد أن ذهب منهم تأثير المفاجأة - واستشهد منهم الكثيرون، كذلك مات منهم الكثير فى الزحام عندما حاولوا مغادرة المدينة. أما من يعقوب بن عبد الله، فقد كان متحصناً بالقصبة، "يعض على يديه على قبيح ما جرى ويشاهد ما تسبب فيه فعله، وبقي يعض بنانه ندماً وأسفاً على ما جرى لأهل سلا". وكان النصارى القشتاليون عندما دخلوا مدينة سلا غدراً قتلوا من وجدهم من الرجال وسبوا النساء والأطفال: "فكانوا يعيثون فى النساء والأبكار ويقتلون الشيوخ والعجائز الكبار، فسفكوا الدماء وهتكوا الأستار وخربوا المساجد، والديار

وعمرها بالتراس والقسي الأسوار.^(١) وفي الوقت الذي هاجم فيه النصراني القشتاليون مدينة سلا واستولوا عليها كان السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني مقيماً في مدينة تازا يستطلع منها أخبار بني عبد الواد بالمغرب الأوسط، وكان السلطان المريني قد وصل رياط تازا يوم الاثنين غرة شعبان من نفس العام (٦٥٨هـ/ الثاني عشر من يوليو سنة ١٢٦٠هـ) فإقام فيها إلى اليوم الرابع من شوال فلما علم بما حدث لمدينة سلا، بانر على الفور بمغادرة رياط تازا في نحو الخمسين فارساً وتوجه على وجه السرعة إلى سلا، فوصلها في يوم وليلة بما يشبه الإعجاز العسكري، وتتابع عليه الإمدادات من أنحاء بلاد المغرب وإفريقية، فحاصر النصراني القشتاليون بمدينة سلا وضيق عليهم واستمر القتال ليلاً نهاراً، وقد أيقن القشتاليون استحالة الاحتفاظ بسلا وإذا كان يخرجون الأسرى من أهلها والأموال والامتعة إلى سفنهم المرابطة أمام سواحلها، وقد اضطر القشتاليون أخيراً إلى الانسحاب وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة ٦٥٨هـ

(١) ابن حذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤١٨. وانظر أيضاً ابن زرع، روض القلاص، ص٢٠١. الذخيرة السنية، ص٩٧؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٨؛ السويدي، تاريخ رياط الفتح، ص٢٢٩؛ حركات الجيش المغربي في عهد بني مرين، ص٢٧، ٢٨؛ الحويدي، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، ص٢٩. A.Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114. Miranda, La toma de Salé por La escuadra de Alfonso X nuevo datos, P.27.

(الثانى والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٢٦٠هـ)^(١)، وعندما دخل السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة سلا، شرع فى بناء السور الغربى لها حيث لم يكن بها سور من تلك الجهة، كما عين السلطان على سلا أبا عبدالله بن أحمد الفنزاري وأمره باستمرار أعمال البناء والتشييد والإصلاح والتجديد^(٢). أما عن يعقوب بن عبدالله بن عبدالحق المرينى، فكان قد فر من القصبية إلى حصن علودان من جبال غمارة وامتنع به، فكلف السلطان يعقوب ابنه وولى عهده الأمير أبا مالك عبدالواحد والقائد على بن زيان بمطاردة يعقوب بن عبدالله ولكن دون جدوى، وقد ظل يعقوب خارجاً عن الطاعة إلى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) حيث قتل بساقية غبولة من ضواحي مدينة سلا^(٣).

أما عن النصارى القشتاليين، فقد خرجوا من سلا على وجه السرعة ودون أن يتزودوا بالماء والطعام، وساروا بحذاء الساحل ولكنهم قتلوا فى الحصول على الماء والطعام فقد تصدى لهم المسلمون على طول السواحل رجالاً وفرساناً وألحقوا بهم الكثير من الخسائر ومنعهم من التزود بالماء

(١) ابن حذارى، البيان المغرب، ج٥، ص ٤٢١، ٤٢٢؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس ص ٢٠١؛ الخيرة السنية، ص ٩٢، ٩٤؛ الفقهى، صبح الاعشى، ج٥، ص ٤٢٠، ٤٢١؛ السلاوى التامرى، الاستقصا، ج٢، ص ٢٦، ٢٧؛ ابن القاضى، جولة الاقتباس، ق٢، ص ٥٥٧، ٥٥٨؛ بيروفسال، نخب تاريخية جامعة لآخبار المغرب الأقصى، باريس، ١٩٢٢م، ص ٥٢، ٥٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريزى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلسى فى العصر المرينى، ص ٢٠.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Sale en Tiempos de Alfonso X El sabio, P. 115-117.

Miranda, La toma de Salé for La escuadra de Alfonso X, P.30-32.

(٢) ابن حذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢٢؛ السلاوى التامرى، الاستقصا، ج٢، ص ٢٢.

(٣) السلاوى، المصدر السابق، ص ٢٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريزى، المرجع

السابق، ص ٢٠.

والطعام، ووصلت منهم سفينة إلى جهة العرائش وأرادوا التزود بالماء فعجزوا، فحاولوا شراؤه ببعض مالدتهم من أسرى المسلمين، فوافق أهل العرائش على تزويدهم بالماء مقابل إطلاق سراح ثلاثة وخمسين أسيراً أكثرهم من النساء والأطفال. وقيل إن الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة، قرر حرق رؤسائهم لتغريزهم به في هذه المغامرة الفاشلة وطلب نحو عشرين منهم الأمان، فأمّنهم السلطان يعقوب بن عبدالحق والحقهم بخدمته، وكان الفونسو العاشر - قبل أن يعلم بفشل تلك الحملة العسكرية القشتالية على سلا - قد جهز حملة جديدة لتكون مدداً لجنده في سلا، فلما علم بانسحابهم، أقسم على قتل قائدهم خوان غرسية، فلما علم الأخير بذلك فر في ثلاث سفن إلى ميناء الأشبونة^(١) وبقي مقيماً بها^(٢). وقد بلغ عدد الأسرى من أهل سلا الذين تجمعوا في مدينة إشبيلية ما يقرب من ثلاثة آلاف أسير أكثرهم من الأطفال والشيوخ، وقد اتفدى أهل مدينة شريش^(٣)

(١) تقع الأشبونة (لشبونة الحالية) على الضفة الشمالية لنهر تاجة TAIO عند مصبه في المحيط الأطلسي. يصفها الإدريسي: "وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ولها سور وقصبة منيعة".

راجع: الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٢ - ١٨٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٥٦؛ الحميري، الروض المطار، ص ١٦-١٨.

(٢) ابن طهارة، البيان المغرب، ج٥، ص ٤٢٢؛ طان، عصر الموحدين ص ٥٤٩.

(٣) شريش مدينة في غرب الأندلس، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بطليوس، وهي مدينة كبيرة ضخمة الأسواق، وتكثر بها المزارع ويحيط بها أشجار الكرم.

راجع: - الحميري، الروض المطار، ص ٢٤٠

المقرئ، نفع الطيب، ج١، ص ٤٦٧

منهم ثلاثمائة وثمانين شخصاً. وفي منتصف شهر ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ (أكتوبر سنة ١٢٦٠م) بعث السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني مبعوثاً إلى الأندلس هو أبو بكر بن يعلى لافتداء أسرى سلا، وقد نجح في مهمته وتمكن من اقتداء الجزء الأكبر وكان من بين من أطلق سراحهم قاضى سلا، وقد بقى لدى القشتاليين عدد آخر من أسرى سلا: "متلوفين لا يعلم لهم خبر ولا وقع لهم على أثر هل كانوا مقتولين أو محمولين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"^(١).

وقد ظلت سلا موضع اهتمام ورعاية سلاطين بني مرين ففي عام ٦٦٩هـ (١٢٧١م) غادر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني مدينة مراكش متوجهاً إلى رباط الفتح ومنها إلى مدينة سلا، وهناك أصابه مرض جعله يتخذ اجراءات سريعة لتعيين والى عهد للدولة، فجمع أشياخ بني مرين في مدينة سلا وأخذ عليهم العهد بولاية ولده أبي مالك عبد الواحد^(٢)، ولكن لم يقدر للأمير أبي مالك أن يتولى حكم بني مرين، إذ سبق الأجل إليه، فتوفي في حياة والده عام ٦٧١هـ (١٢٧٢م) بمدينة فاس، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، فقرر السلطان يعقوب بن عبدالحق اختيار ابنه الثاني الأمير يوسف ولياً للعهد خلفاً لأخيه، وسار السلطان إلى مدينة سلا، وأخذ بها البيعة بولاية العهد لإبنه يوسف وذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٦٧١هـ

(١) ابن خلدون، البيان المغرب، ج٥، ص ٥٢٢، ٤٢٣؛ وانظر أيضاً عتات، عصر الموحدين، ص ٥٥٠، ٥٤٩.

(٢) ابن أبي نذع، روض القرطاس، ص ٣٠٨؛ ابن خلدون، المعبر، ج٧، ص ١٨٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٢، ص ٢٩.

(١٢٧٢م) (١).

لم تشر المصادر التاريخية المعاصرة للنواة المرفئية بعد ذلك لمدينة سلا
فيما عدا إشارة أو لمحة موجزة في حوادث عام ٧١٢ هـ (١٣١٤م) حيث
أشار ابن الخطيب إلى تولية أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن
نصر مدينة سلا في شهر رمضان من نفس العام (٢).

(١) ابن أبي زرع، النخبة السنية، ص ١٢٥؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص ٢٩، ٣٠. وقد حضر

هذا الاحتفال بمدينة سلا الشاهز أبي فارس عبدالعزيز بن عبد الواحد بن محمد اللزوني المعروف

بعزيز وكان من مشاهير شعراء بني مرين فاشهد

الله برك ياسلامن بلدة

من لم يُعائِن مثل حسنك ما اشتقا

قد حُزّت برأ ثم بعرأ طامياً

ويذالك زنت ملاحه وتزخرأ

ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٢٢.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص ٢٤٢

بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا

أولاً : الحياة الاقتصادية:

(أ) الزراعة

ازدهرت الزراعة ازدهاراً عظيماً في مدينة سلا طوال مراحل تاريخها نتيجة لوفرة المياه بها من نهري أم الربيع وأبي الرقاق^(١)، كما شهد العصر الموحدى جهوداً كبيرة لتوفير المياه سواء للشرب أو الزراعة، فقد اهتم الخليفة عبدالمؤمن بن علي بإدخال الماء إلى سلا عن طريق القنوات المتصلة بإحدى العينين المائية وذلك سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) حتى يوفر مياه الشرب للناس ويسقي الارض، إلا أن الإهمال أصاب مشروع المياه وقد ظهر ذلك واضحاً حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) إذ رأى الماء فسد جريه، وأسن مائه وانتشر في البطاح ومن هنا أمر بتجديد المشروع وأضاف إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء^(٢). أما في عصر بني مرين فقد اهتم السلطان أبو الحسن المريني بمشروعات الري وتوصيلها إلى مستعمليها وقد أنفق أبو الحسن أموالاً طائلة لتوصيل المياه إلى داخل سلا حيث الموضع المعروف باسم برج حمام^(٣)، وبالإضافة إلى

(١) نهر أم الربيع وأبو رقاق ينحمان من جبال صنهاجه (الأطلس المتوسط) ويصبان في البحر المتوسط. ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى لوفرة مياهه، وانتظام جريانه. عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٥١٢.

(٢) البيلقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١١٢؛ ابن صاحب الصلاة، الفن بالامامه، ص ٤٤٨؛ ابن ابن زرع، روض القرطاس، ص ١٢٥، ١٢٦؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٢، ص ١١٩؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٣٨٧.

(٣) ابن مرقوق، المسند، ص ١٨٩؛ العريضي، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص ٣٢٨.

توافر مياه الري امتازت سلا أيضاً بتوافر الأيدي العاملة المهرة في مجال الزراعة، إذ توارث عليها مهرة المزارعين من أفريقية وأنشأوا بها البساتين وعلموا أهلها فنون الزراعة^(١). ومن أشهر محاصيلها الزراعية: قصب السكر^(٢)، والقطن والكتان^(٣) والكروم^(٤).

(ب) الصناعة

ازدهرت الصناعة في مدينة سلا نتيجة لتوافر المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة ومنها: الحديد^(٥) والأخشاب^(٦)، فضلاً عن المواد الخام الزراعية كالقطن والكتان وقصب السكر. ومن أبرز تلك الصناعات، صناعة قصب السكر حيث كان يوجد بسلا الكثير من معاصر السكر^(٧).

(١) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٢٥٧.

(٢) المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية في العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٧٩، ص ١١٢؛ موسى (عز الدين أحمد) النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ١٩٥.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص ١٠٤؛ المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص ٢٧٦، ٢٧٧؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ١٢٧، ١٢٨؛ المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ١١١.

(٤) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٢؛ الحميري، الروض المطار، ص ٣١٩.

(٥) يقول المراكشي: وبين سلا ومراكش قريباً من ساحل البحر الأعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلاً موضع يسمى ابستار فيه معدن حديد كان يقصده من أراد حمل الحديد منه. المعجب، ص ٥٠٩، ٥١٠.

(٦) الجزائى (أبو الحسن طي): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

(٧) القلقشندي، صريح الأعشى في صناعة الانشاء، ج ٥، ص ١٧٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص ٢٤؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص ٢٨٥.

والصناعات الخشبية^(١)، والصناعات الجلدية^(٢)، وصناعة الملابس القطنية
والكتانية^(٣).

(ج) التجارة

كان من الطبيعي مع ازدهار الزراعة والصناعة أن تزدهر التجارة فقد
كان ميناء سلا من أهم موانئ المغرب الأقصى الواقعة على المحيط
الأطلسي وكان يستقبل السفن المختلفة وفي مقدمتها السفن الأندلسية وفي
ذلك يقول الإدريسي: "ومراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من
الأندلس يقلعون عنها (أي عن ميناء سلا) ويحطون بها بضروب من
البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون
منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية"^(٤). ويمضي الإدريسي قائلاً:
"والمراكب الواردة عليها لا ترسى منها في شيء من البحر لأن مرساها
مكتشوف وإنما ترسى المراكب بها في الوادي وتجوّز المراكب على قمة
بديل لأن في قم الوادي أحجار وتروش تنكسر عليها المراكب وفيه أعطاف
لا يدخلها إلا من يعرفها وهذا الوادي يدخله المد والجزر في كل يوم مرتين،
وإذا كان المد دخلت المراكب به إلى داخل الوادي وكذلك تخرج وقت

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٣٥٩؛
الجزائري، زهرة الآس، ص ٢٨؛ الفاسي، نشأة الدولة المرينية، مجلة البيئة، العدد الثامن، السنة
الأولى، رجب ١٣٨٢ هـ / ديسمبر ١٩٦٢ م ص ٢٦.

(٢) ازدهرت صناعة دباغ الجلود في سلا في عصر الموحدين. عز الدين موسى، المرجع السابق، ص
٢٢٠.

(٣) الونشريسي (ابو العباس أحمد بن يحيى) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء
إفريقية والأندلس والمغرب، طبعة فاس، ١٢ جزء دون تاريخ، ج٥، ص ٢٥٨.

(٤) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وأنظر أيضاً، الحميري، الروض المطار، ص ٢١٩.

خروجها^(١).

كان لسلا علاقات تجارية مع الجنوبيين، فقد مُنح الجنوبيون امتيازات تجارية مع بلاد المغرب، يتضح ذلك من اتساع حجم التبادل التجارى مع موانئ المغرب الأقصى ولا سيما مع سلا، حتى قيل إن الجنوبيين فكروا فى غزو سلا والاستيلاء عليها^(٢)، كذلك كانت لسلا علاقات مع الممالك المسيحية فى أسبانيا حتى ظن أهل سلا عندما رأوا السفن القشتالية أمام سواحلهم سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) أنها جاءت - كمادتها للتجارة^(٣).

كذلك نشطت التجارة الداخلية البرية حيث كانت سلا ملتقى للطرق السهلية والجبلية فى المغرب الأقصى^(٤).

(د) صيد الأسماك

عرفت سلا - شأنها شأن المدن الساحلية - حرفة صيد الأسماك، وقد أشار الإدريسي إلى كثرة الأسماك فى وادى سلا وكيف أنها لا تباع ولا تشتري لكثرتها بقوله: "وفى هذا الوادى أنواع من السمك وضروب من الحيتان والحوث بها لا يكاد يباع ولا يشتري لكثرتة وجودته"^(٥) ومن أشهر

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) Byrne (E.H.), "Commercial contracts of the Genoese in the syrian trade of the Twelfth Century " the quarterly Journal of Economics, 1916-1917, Vol, XXXI, P. 130-133.

(٣) ابن هزاري، البيان المغرب، حه، ص ٤١٨؛ ابن أبي ذرع، روض القواس ص ٣١؛ السلاوي الفاسي، الاستقصا، ج١، ص ٢١.

(٤) Célérier, J., "1" Atlas et la Circulation au Maroc, Hespéris, 1927, (٤) Tome, VII, P. 445-446.

(٥) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وانظر أيضاً الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٩.

أنواع أسماكها الشابل الذى يصفه ابن الخطيب بقوله : وكفى بالشابل رزقاً طرياً وسمكاً بالتفضيل حرياً، يبرز عند قطر الدير ويبيع ببخس القيم، ويعمم حتى المجاشر (القرى) النائية والقرى^(١).

كما عرفت سلا أيضاً حرقة الرعى ولا سيما رعى الجمال^(٢) وكان لكل فرقة من الصناع أو التجار رؤساء يختارونهم من بينهم ويسمون بالأمناء، حيث كانت لهم حرية التصرف فى مصالح المهنة التى يتراسونها فقد أسس أمناء التجار وصناع الملابس بمدينة سلا صندوقاً احتياطياً كان دخله من درهم واحد يأخذونه عن كل قطعة من الملابس تباع، وقد خصصوا حصيلة هذا الصندوق لمواجهة مايفرض عليهم من ضرائب استثنائية أو عادية^(٣). كما كانت سلا تمثل إحدى الاقاليم التى كانت تجبى منها الاموال فى عصرى الموحدين وبنى مرين^(٤).

(١) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص ١٠٥، ١٠٦؛ وانظر أيضاً، مجهول، الاستبصار، ص ١٤١.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ٦٠.

(٣) الوتشريسى، المعيار، ج٥، ص ٢٥٨؛ محمد المنونى، وثائق عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين، ص ١١٠.

(٤) الحكيم (ابو الحسن علي بن يوسف) : النوحة المشتبكة فى خوايط دار السكة، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١١٩، ١٢٠.

ثانياً: المنشآت المعمارية

(١) المنشآت الدينية

(١) المساجد

يعتبر جامع الشعبة من أقدم مساجد سلا بناء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد جلبت عمده الرخامية الصفراء من مدينة شالة التي كان بها أقدم مسجد بناحية سلا^(١). والمسجد الأعظم، وقد أمر يعقوب المنصور الموحدى ببناء المسجد الأعظم وفي ذلك يقول صاحب الروض المعطار: "كان يعمل في بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفرنج في قيودها"^(٢). كما أشار صاحب الاستبصار إلى قيام العشريون أصحاب سلا ببناء مسجد وأنه لم يبق منه سوى المنار، أما السقف فقد تهدم واحتوى القرياء في بنائه سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨م)^(٣).

(١) حرکات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٢٤٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٤٠؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٢، ص ١٩٥؛ حرکات، المرجع

السابق، ص ٣٦٦؛ السويسي، تاريخ رباط القنص، ص ٣٨.

(٣) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤٠.

(ب) الأريطة والزوايا

(١) رباط بسلا

كانت سلا رباطاً على دولة برغواطة وفي ذلك يقول ابن حوقل : " ويسلا رباط يرباط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة وقد خربت، والناس يسكنون ويرابطون رباطات تحف بها، وربما اجتمع في هذا المكان من الرباطين مائة ألف إنسان، يزيّدون في وقت وينقصون لوقت، ويرباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي شئت عمارة بلد الاسلام إليها يقرون ويسبون^(١).

(٢) رباط الفتح

وهو الرباط الذي نزل فيه الفقيه الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصاري المعروف بابن عاشر والمتوفى بسلا في شهر رجب سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٣م)^(٢).

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي) : صورة الأرض، طبعة بيروت ١٩٦٢م، ص ٨٧؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة الرباطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١٣٦؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٩٤.

(٢) ابن القاضي، جنوة الاقتباس، ق ١٠، ص ١٥٣.

(٣) زاوية السلطان أبي الحسن المريني

شيد السلطان أبو الحسن المريني داخل سور مدينة سلا زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الفري الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفي رائع بعد الافتتاح بالتعوذ والبسلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : " أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن ابن السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق خلد الله ملكهم. وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة^(١).

(٤) زاوية النساك

ما زالت أطلال زاوية النساك قائمة خارج سور سلا وهي من جملة الزوايا العديدة الجميلة التي بناها السلطان أبو عنان فارس المريني في خارج المدن المغربية لتكون بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرون على اختلاف طبقاتهم. وزاوية النساك قد تم بناؤها في السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٥٧ هـ (الثاني عشر من أغسطس سنة ١٢٥٦م) وكانت تشتمل على حديقة جميلة وغرف عديدة وقاعة للصلاة وميضة في الجهة القبلية منها مزودة بالمياه الجارية من بئر هناك. وكان للزاوية بابان كبيران

(١) السويسي ، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩ ، ٨٠.

أحدهما يتجه نحو مدينة سلا والآخر يتجه نحو مدينة شالة - الجبانة الملكية
لبنى مرين - وقد تهدمت زاوية النساك عقب حريق شب فيها ولا يُعرف
تاريخه بالضبط وما زالت أطلالها باقية إلى الآن^(١).

(٥) زاوية أبي زكرياء الحاحي^(٢)

تقع زاوية أبي زكرياء الحاحي غربى المسجد الأعظم بسلا^(٣).

(٦) زاوية اليابورى

وتنسب إلى الفقيه أبي عبدالله اليابورى^(٤).

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب فى علاة الاغتراب، نشر د. احمد مختار العيادى، القاهرة،
١٩٦٧م، ص ١٧٠، هامش (٢) ص ١٧٠، ١٧١، ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب،
ص ١٠٤.

(٢) أبو زكرياء يحيى بن أبى عمرو عبد العزيز بن عبدالله بن يحيى، ظهر فى أواخر القرن السابع
الهجرى، وتاريخ ولادته مجهول، وهو منقول بتيقن من بلاد حاحه، وروى أصحابه بالحاخيين.
محمد المنونى، ررقات عن الحضارة المغربية فى عصر بلى مرين ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) محمد المنونى، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٤) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٥٢.

(٢) المنشآت المدنية

١ - المدارس

اهتم الموحدون ببناء المدارس بمدينة سلا، ولو أنه لم يبق لها أثر، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل اسم ملوكهم وطابعهم الخاص. ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة، وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة، ومدرسة المهدية التي بناها يعقوب المنصور بمدينة سلا^(١). كما ابتنى السلطان عليها أبو الحسن المريني المدرسة العظمى بطالعه سلا قبلي المسجد الأعظم "بناها على هيئة بديعة وصنعة رفيعة وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر". كما أوقف السلطان الكثير من الأوقاف: "رصع أسماها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة، ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف أن تفسد"^(٢). كما ابتنى السلطان أبو عنان فارس المريني بسلا المدرسة العجيبة بحومة باب حسين، وقد صارت اليوم فندقاً يُعرف بفندق أسكور^(٣).

(١) ابن أبي زرع، الخيرة السنية، ص ١٥٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص ١٩٨؛ محمد الخولعي، وريقات، ص ٢١.

(٢) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ١٥٧.

(٣) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ٢٠٦.

٢- الفنادق والقيساريات والبيمارستانات

نظراً لأهمية سلا التجارية، فقد انشأت فيها الكثير من الفنادق، وكان يطلق على الفندق اسم السلعة التي تباع فيها، ومن ذلك ماورد في ترجمة أبى موسى الدكالى أحد مشاهير المتصوفين في مدينة سلا أنه كان يقيم بفندق الزيت^(١). وكذلك المدرسة العجيبة التي انشأها السلطان أبى هنان فارس المرينى والتي تحولت الى فندق عُرف بفندق أسكور^(٢). كما كان يوجد بسلا قيسارية، فقد وصف ابن الخطيب قيسارية سلا بقوله: "وقيسارية حقيرة"^(٣). كذلك اشار ابن الخطيب الى وجود بيمارستان في سلا لعلاج المرضى^(٤).

٣- القصور

(أ) قصر بنو عشرة

بنو عشرة أسرة أندلسية من مدينة قرطبة. وأول من وفد منهم إلى بلاد المغرب واستقر بسلا أبو العباس أحمد بن القاسم الذى تولى قضاء سلا في عصر المرابطين، وقد شيد أبو العباس قصراً بسلا لإقامته وأتقنه، ولا فرغ من بنائه وصفته الشعراء وهناك ودمت له وكان بسلا يومئذ الشاعر

(١) التاتلى (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن هيسى بن عبدالرحمن) : التصوف إلى رجال التصوف: نشره وصححه أنوف فور، طبعة الرباط ١٩٥٨م ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) السالكى الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص ٢٠٦.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٢.

(٤) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ١٠٤.

أبو الحسين على بن الحمارة، وكان ممن برع في الألحان وعلمها، وهو من أهل غرناطة، واشتهر عنه نظم الشعر وتلحينه والغناء به، ولم يكن ابن الحمارة قد أعد شيئاً، ففكر قليلاً ثم ارتجل قائلاً:

يا أوحده الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذى أمل ولا كدارك في الآخرة لذى عمل^(١)

(١) المقرئ نفع الطيب، ج ٥، ص ٢٧٦، السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ٨-١٠:
وكانت لأسرة بنو عشرة الكثير من الإيادى اليقضاء فهذا هو الشاعر محمد بن سوار
الاشبهوني، وكان قد وقع أسيراً، ففداه أبو العباس أحمد بن القاسم بن عشرة فمدحه:
أحب سلا من أجل كوثك من سلا

فكل سلاوى إلى حبيب

لصيرتها مصراً وإنك نيلها

وكلك بطحاها وأنت خصيب

وقوله أيضاً

رايتك أندى الناس كفاً وكل ما

تجود به فالله ينمي للآخرى

ولولاك ما فلك السلاسل ضاغط

وما فارقت عيناى سلسلة الاسرى

وخيرت عيشى في جنابك بالذى

منتت به حلواً وكم ذلته مرأ

على ذاك لا أنك أخلص دائماً

إلى الله أن ينمى لك الجاه والعمر.

راجع : ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد) المغرب في حلى المغرب، تحقيق د.

شوقى شيف في جزئيه القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٥م، ج ١، ص ٤١٢.

كذلك مدح الشاعر عيسى بن الركيل أبى الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة بقصيدة مشهورة جاء فيها.

وعندما وصل المهدي بن تومرت إلى سلا نزل بقصر بنو عشرة حيث كان يأتيه تلاميذه فيأخذون عنه العلم^(١)، وعندما فتح عبد المؤمن بن علي سلا نزل بقصر ابن عشرة^(٢)، كما نزل فيه يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "ولما اضطريت حاله (أي يحيى) بظهور دولة لمتونة، لحق بقسنطينة، ثم نزل عنها للموحدين مستامناً لنفسه، وسكن بقصر ابن عشرة من سلا، وكانت وفاته به"^(٣).

= سَلِ الْبِرْقِ إِذْ يَلْتَأَحُ مِنْ جَانِبِ الْبَرْقِ

أَقْرَبِي سَلِيمِي أَمْ فَوَادِي حَكِي خَفَقاً

وَأَمِ أَسْبَلَتْ تِلْكَ الْعَامَةَ نَعْمَهَا

أَرَوَيْتَ لَوْ شِئْتَ الْبَيْنَ أَمْ ذَاكَتِ الْمَشَقَّ

وَمِنْهَا غَرِيبٌ بَارِضٌ الْغَرْبَ فَرَقِي قَلْبَهُ

فَلَوْتُ سَلَا فَرَقاً وَيَابِرَهُ فَرَقاً

إِذَا مَا يَكِي أَوْ نَاحَ لَمْ يَلَفْ مَسْعِداً

عَلَى شَجَرَةٍ إِلَّا الْغَنَائِمُ وَالْوَرَقُ

وكان السبب وراء محبة هذه القصيدة أن يحيى بن الوكيل كان يعمل في جباية الضرائب على مدينة غرناطة على أيام المرابطين، فحدث لديه عجز قدرة عشرة آلاف دينار، فقبض عليه وكيمل وأرسل إلى مراكش فلما مر بسلا وبها يرمئذ بنو عشرة، قال هذه القصيدة يمدد القاضى أبا الحسن بن عشرة ويستجير به، وسأل ليصالحها إليه، فلما أطلع عليها، أمر بإطلاق سراحه ووقع ماعليه من دين وطلب لعائته التي عمله، فوافق أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وأعادته إلى عمله في غرناطة.

راجع، الحميري، الروض المطار، ص ٦١٥.

(١) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٥٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ص ٢٥؛ مؤلف مجهول، الطل المرشدة، ص ١٣٦؛ ابن خلدون،

العبر، ج٦، ص ٢٢٢

(٣) أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ١٠٠

٤- القناطر

٦ - قنطرة سلا

شيد الخليفة عبدالمؤمن بن علي قنطرة بين مدينتي سلا والمهدية، إلا أنها تصدعت بتأثير قوة التيار، لذلك حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) أمر بإقامة قنطرة جديدة إلى جانب القنطرة القديمة التي شيدها عبدالمؤمن وقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها مركبة على ثلاثة وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون، ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر، فتعوم عليه المراكب وترسو بونه السفن الكبيرة^(١).

٥- سور الأقواس

شيد السلطان أبو الحسن المريني السور المحمول عليه الماء الداخل إلى سلا المعروف بسور الأقواس وهو "من المباني العادية والهيكل العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطبة ونحوها"^(٢). وهذا السور: "مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتداً من القبلة إلى الجوف على أضخم بناء وأحكمه، موزون

(١) مؤلف مجهول الاستبصار، ص ١٤١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٩؛ المراكشي،

المعجب، ص ٥٠٧؛ الحميري، الروض المظهر، ص ٣١٩؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب

والأندلس، ص ٣٤٩؛ عثان، عصر الموحدين، ص ٦٦؛ حرثات، المغرب عبر التاريخ، ص ٣٧٠

(٢) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٧، ١٧٦.

سطحه بالميزان الهندسى ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء، وإذلك ينخفض إلى الأرض متى ارتفعت ويعلو عنها إذا انخفضت ويجرى على متنة من الماء مقدار النهر الصغير فى ساقيه قد اتخذت له، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جداً لأجل انخفاض الأرض عنه كلما مر فى سيره بطريق مسلوكة فتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور الأقواس، فهر شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة^(١).

(٢) المنشآت العسكرية

(١) بناء سور سلا

كانت مدينة سلا مسورة من جهاتها الأربع إلا أن الخليفة عبدالمؤمن بن على هدم أسوارها سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م)^(٢)، ثم أعاد حفيده يعقوب المنصور بناء أسوارها ماعدا الجهة الغربية التى بقيت دون سور الى أن هاجمها النصارى القشتاليون سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)، فبعد انسحابهم منها رأى السلطان يعقوب بن عبدالحق المرىنى ضرورة تأمين هذا الثغر المهم حتى لا يقتحمها أحد من ناحية البحر، لذلك شرع فى بناء السور الغربى لمدينة سلا، فبناه من أول دار الصناعة وامتد إلى البحر، وكان السلطان يقف على بنائه بنفسه، ويرفع الحجر بيديه ابتغاء لثواب الله تعالى

(١) السلاوى، نفسه، ص ١٧٦.

(٢) السلاوى، الناصرى، الاستقصا، ج ٣، ص ٢٢.

وتواضعاً^(١) واستكمالاً لتحصين سلا أقام السلطان يعقوب بن عبدالحق في هذا السور برجاً حريباً عالياً يعد من أعظم أبراج المدينة وأحسنها وأكبرها اتساعاً وارتفاعاً وقد عُرِفَ باسم برج الدموع^(٢). ولما صارت سلا مدفناً لسلطين بنى مرين اهتم بها السلطان ابو الحسن المريني وأدار عليها السور المربع " السامى الارتفاع تتخلل مسافات أبراج مربعة على هيئة أسوار المدن الكبرى^(٣).

(١) دار الصناعة بسلا

اهتم الموحدون اهتماماً كبيراً بإنشاء دور الصناعة على طول السواحل المغربية والأندلسية بهدف إنشاء بحرية إسلامية قوية تستطيع حماية سواحل عدوتى المغرب والأندلس من الأخطار الخارجية. وقد أشار ابن أبى زرع إلى أنه فى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢م) أنتجت دور الصناعة فى العدوتين أسطولاً من أربع مائة قطعة منها فى سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة^(٤). أما أول من اهتم من المرينيين بالأسطول فهو السلطان يعقوب بن

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٣٠١، للذخيرة السنية، ص ٩٤؛ ابن الخطيب، مشاهدات . لسان الدين بن الخطيب، ص ٥٨؛ ابن الفاسى، جله الاقتباس، ق ٧، ص ٥٥٨؛ السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج ٢، ص ٩٤؛ ج ٢، ص ٢٢؛ الصويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩؛ العريوى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٣٢٩.

(٢) سُمى بهذا الاسم لأن السلطان يعقوب بن عبدالحق المرينى حين شارك فى بناء هذا السور، كان يبكى متأثراً مما حل بالمدينة وأهلها على أيدي النصارى. السلاوى الناصرى، ج ٢، ص ٢٢.

(٣) الصويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩.

(٤) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ وانظر أيضاً ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٢١٢، ٢١٤؛ المبادئ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ عز الدين موسى، النشاط الإقتصادى فى المغرب الإسلامى، ص ٢٢٣.

عبدالحق الذي يرجع إليه الفضل في بناء دار الصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن الحاج الإشبيلي^(١). وقد بنيت قبلي مدينة سلا من جهة وادي أبي الرقراق وجعل لها بابان^(٢) كان الوادي يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية، حيث جلب الماء من الوادي إلى الباب المسامت لجامع حسان في ترعة عميقة، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذه الدار وأريد إرسالها في الوادي، فتحت الترعة فيدخل الماء وتعم فيه السفينة، فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جداً ليخرج المركب منشور القلاع^(٣). ثم اهتم سلاطين بني مرين بدار صناعة سلا، فقد أنشأ السلطان أبو سعيد عثمان الثاني (٧١٠/ ٧٣٢ هـ - ١٣١٠ - ١٣٣١م) بسلا الأجبان الغزوية، ففي شهر ذي القعدة سنة ٧١٠ هـ (١٣١١م) خرج السلطان أبو سعيد عثمان من مدينة فاس إلى رباط الفتح لدراسة أحوال

(١) كان من مدجنى مدينة إشبيلية: "من العارفين بالعمل الهندسية بصيراً بتخاذ الآلات العربية الجافية والعمل بها وانتقل إلى فاس على عهد أبي يوسف يعقوب المنصور بن عبدالحق واتخذ له دولا و بنا دار الصناعة بسلا".

- ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص ١٤٠؛ السلوك الناصري، الاستقصاء، ج٢، ص ٢٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق١، ص ٢٨٨.

(٢) الباب الأول وكان يسمى باب المرسى وهو عبارة عن قوس على شكل حدوة الفرس يحيط به شريط زخرفى ونقش طويل بالخط الكوفي. وتغطي أركان الباب زخارف نباتية كثيفة، ويحيط به برجان بارزان بروزاً خفيفاً تتوجهما زخارف نباتية، وهذا الباب يقود الآن إلى حي اليهود في سلا ويعرف بباب الملاح. أما الباب الثانى، فقد تهدم ولم يبق منه إلا حائط الواجهة التي كانت تتوسط البرجين اللذين لم يبق منهما إلا برجينهما.

Terrasse: les Portes de l'arsenal de Salé, Hespéris, Tome II, année, 1922, P. 357-371.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٩٢؛ العيادى، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، ص ٣٨٠، ٣٨١؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٢٧٠.

Terrasse : les Portes de L'arsenal de Salé-P. 369-370.

أهلها والنظر في أمور بلاد الأندلس عن كثب، واتخذ بعد ذلك عدة قرارات من بينها إنشاء الاساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة ومدافعه الغزاة عنها^(١).

(ثالثاً) الاحتفالات والمناسبات العامة

(١) الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الاحتفالات التي اختصت بها مدينة سلا وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "اختصت مدينة سلا بالأعياد والاحتفالات الخاصة بأعياد ميلاد الرسول^(٢)". والفضل يعود إلى الفقيه أبي القاسم العزفي أنه أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف وذلك سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩م) ويصور ابن عذاري ما كان يقوم به هذا الفقيه من مظاهر الاحتفال بقوله: "فيطعم منه أهل بلده ألوان الطعام ويؤثر على أولادهم ليلة يوم المولد السعيد بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم والإنعام لأجل ما يطلعون المحاضر والصنائع والحوائث يمشون في الأزقة يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وفي طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع

(١) ابن الخطيب، الأحاطة، ج٣، ص ١٤١.

(٢) نقاضة الجراب، ص ٢٢. ومن المعروف الى وقتنا هذا ان مدينة سلا تعتبر من المدن المغربية القليلة التي تحتفل بمولد الرسول احتفالاً خاصاً تخرج فيه مواكب الشموع وطوائف الناس على اختلاف طبقاتهم في عرض حافل يبيع وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام. ابن الخطيب، نقاضة الجراب، هامش (٤) ص ١٢٢.

أهل البلد مدح النبي عليه السلام، بالفرح والسرور والإطعام للخاص والعام،
جار ذلك علي الدوام في كل عام من الأعوام^(١).

(ب) الإحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان

كان أهل سلا يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رمضان في كل عام، حيث كانت تأتيها الوفود من جميع أنحاء بلاد المغرب لتشاركها هذا الإحتفال. فكانت الخيام تنتشر حول المساجد وتزدان الأسواق والمتاجر، وترفع المغارم، ويقوم أهل الخير بإقامة الولائم الكبيرة حيث كانت توزع اللحوم والسمن والخلوى، كما كان يحضرها المفنون والمنشدون ويشهدها الجميع : " كالقاضي والشهود العدول والخواص والأعيان والأمناء^(٢)".

(رابعاً) الحياة الفكرية

الفقهاء والقضاء والمحدثين

ظهر في سلا الكثير من الفقهاء والقضاء والمحدثين والزهاد وفي هذا يقول ابن الخطيب: "وإن كان بها أهل عبادة وسالكو سبيل وزهادة"^(٣). منهم أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن أحمد الكتامي ويعرف بأبن العجوز وقد تولى قضاء سلا على أيام المرابطين وتوفي سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م)^(٤). وأبو العباس أحمد بن هشرة وقد تولى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢ ، ص ٣٩٨؛ وانظر أيضاً العيادي، دراسات، هامش (٢) ص ٣٧٩.

(٢) ابن الخطيب، نقاضة الجواب، ص ١٢٢.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٥.

(٤) ابن سميذ المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٣٩٧.

قضاء سلا على أيام المرابطين^(١)، وأبو محمد عبد الطيم بن عبدالله المراسي المعروف بالغمام، وهو من زهاد سلا، وتوفي بها وقبره لصق المسجد الأعظم علي مقربة من باب الكبير من جهة القبلة، وقد توفي سنة ٥٩٠هـ (١١٩٤م)^(٢)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن سليمان بن خالد بن بهلول بن عبدالرؤف بن مخارق بن أحمد العبدري، وقد روى بالأندلس عن بعض شيوخها، ثم رحل إلى المشرق وأدّى فريضة الحج، ثم عاد إلى المغرب واستوطن سلا، وحدث بها وكان محدثاً عدلاً ديناً. فاضلاً كريم الاخلاق، توفي بسلا في شهر شعبان ٦١٠ هـ (ديسمبر ١٢١٣م)^(٣)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري وهو من أهل شريش، وقد استوطن سلا وتولى القضاء بها، وقد توفي في أوائل عام ٦١١ هـ (١٢١٤م)^(٤)، والاخوان عبدالله وداود ابنا حوط الله الانصارى الحارثي، واكبرهما عبدالله، وهو عبدالله بن سليمان بن داود بن عبدالرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الانصارى الحارثي، ولد بآنده ضمن أعمال بلنسية في سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وهي موطنهم ودرس ببلنسية ومرسية وقرطبة، وبرز في الحديث والقراءات، وكان إماماً في صناعة الحديث ولم يكن في وقته أبعد صيتاً منه ومن أخيه ابي سليمان في هذا الميدان، استدعاه الخليفة يعقوب المنصور لتأديب بنيه، فحظي لديه ونال جاهاً ودنياً عريضة، وقد تولى القضاء

(١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج ٢، ص ٤٠٨.

(٢) السالكى الناصري، الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١١.

(٣) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٧٦.

(٤) ابن عبد الملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ٢٨٧.

فى سلا وتوفى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥م)^(١). والشاعر المؤرخ أبو عبدالله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى، وأصله من قلعة بنى حماد، إذ ولد فى قرية بوحزمة من أحواز قلعة بنى حماد سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) وقرأ ببلده القلعة وكانت حاضرة علم، ثم قرأ ببجاية، ولقى بها جلة من العلماء، ثم تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم ولى قضاء سلا سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥م) وقد توفى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) ومن مؤلفاته كتاب نكر فيه شيوخه وقد أشار فيه إلى أنه لخص تاريخ الطبرى وكل ما روى عنه، وكتاب فى التاريخ سماه "النبد المحتاجة فى أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"^(٢). وأحمد بن إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبدالله بن عمرو بن فرقد القرشى العامرى، تولى قضاء سلا، وتوفى بها سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦م)^(٣) وأبو المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومى، تولى الكتابة للخليفة الرشيد الموحدى، ثم نقله الى قضاء رباط الفتح وسلا، وظل يتولاها إلى أن توفى الرشيد وتولى الخلافة الخليفة المعتضد بالله الموحدى، فأقره على قضاء رباط الفتح وسلا^(٤). وأبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصارى المعروف بابن عاشر، أصله من بلدة شمينية فى الأندلس، وقد اتجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد

(١) ابن الضطيق، الاحاطة، ج٢، ص ٤١٦؛ المقرئ، نفع الطبيب، ج٢، ص ٦٦، ٦٧؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٦٥٦، ٦٥٧.

(٢) الغبر بنى (أبو العباس أحمد) : عنوان الدراية فيمن عُرف من الطماء فى المائة السابعة ببجاية، نشر محمد بن شنتب، الجزائر، ١٣٢٨ هـ ص ١٢٨-١٣٠.

(٣) ابن عبد الملك، التكملة السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٨.

(٤) ابن عبد الملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ١٧٧؛ المقرئ، نفع الطبيب، ج٢، ص ٢٩٧، ٢٩٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٧٠٠-٧٠١.

إلى المغرب، فأتاهم بفاس مدة، ثم رحل إلى مكناسة ثم أخيراً استوطن سلا، وكان من العلماء الجامعين بين العلم والعمل والمتمسكين بالكتاب والسنة، زاهداً ورعاً، وذاع صيته بحيث ارتحل إليه السلطان أبو عنان فارس المريني لزيارته في سلا والاستفادة من علمه سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦م) ووقف بأبيه مراراً فلم يأتني له، وترصده يوم الجمعة وتبعه على قدميه بعد الصلاة ولكنه عجز عن لقائه، فأرسل السلطان إليه وادبه رغباً ومستعظافاً، فأجابه بالرفض، غير أنه كتب إليه كتاباً وعظه فيه، فسّر السلطان بذلك الكتاب، وقد توفي ابن عاشر في شهر رجب سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٣م) ودفن على مقربة من برج الدموع جنوبى سلا^(١). وأحمد بن القاسم بن عبدالرحمن الجذامي، ويعرف بالقباب قال عنه ابن الخطيب: "تعرفت به في مدينة سلا وأعجبني سمته، حضرت مجلسه في الحديث والفقه وأصول الدين^(٢)، ومنهم القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني، ولى قضاء سلا وتوفي سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨م)^(٣).

(١) ابن القاضي، جلوة الاقتباس، ق١، ص ١٥٢؛ السلفي الناصري، الاستقصاء، ج٢، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) ابن القاضي، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٣) ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، ص ١٢٢.

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر العربية

ثانياً : المراجع العربية الحديثة والأدبية المعربة

ثالثاً : المراجع الأدبية

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأبار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي) ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م.
: التكملة لكتاب الصلة، جزآن، نشر وتصحيح وطبع
السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦ م.
: الحلة السيرة، نشر وتحقيق د. حسين مؤنس، في
جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣ م.
ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري) ت
٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م.
: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، دار الكتاب العربي،
الطبعة الثالثة، ١٩٨٠ م.
الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبدالعزيز الشريف السبتي) ت حوالي
٥٤٨ هـ (١١٥٤ م).
: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من
كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشره وترجمة
إلى الفرنسية لوزي ودي غوية (ليند) ١٨٦٦ م).
ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف) ت ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م)
: روضة النسر في دولة بني مرين. طبعة القصر الملكي
المغربي، الرباط، ١٩٦٢ م.
ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ (١١٨٣ م)
: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس
طبعة القاهرة في جزئين ١٩٦٦ م.

البكري (أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز المرسى) ت ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م).
: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك
والممالك نشره دى سلان De Slane طبعة الجزائر،
١٩١١م.

البليذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) : ت القرن ٦ هـ (١٢م)
: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم
وتحقيق عبدالحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤م.
التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)
: التشوف إلى رجال التصوف نشره وصحه أدولف
فور، الرباط، ١٩٥٨.

الجزنائي (أبو الحسن علي) ت القرن ٨ هـ (١٤م).
: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس.
تحقيق عبدالوهاب منصور، الرباط،
المطبعة الملكية، ١٩٦٧م.

الحكيم (أبو الحسن علي بن يوسف) ت القرن ٨ هـ (١٤م)
: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة
تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦م.

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم السبتي)
ت ٨٦٦ هـ (١٤٦١م).
: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار
في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، الطبعة
الثانية، ١٩٨٤م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبى)

ت ٢٨٠ هـ (١٩٠م)

: صورة الأرض. طبعة بيروت، ١٩٦٢م.

ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الإشبيلي)

ت ٥٣٥ هـ (١١٣٤م)

: قلائد العقيان في محاسن الأعيان.

القاهرة، ١٢٨٣ هـ.

ابن الخطيب (أبو عبدالله لسان الدين بن محمد بن عبدالله)

ت ٧٧٦ هـ (١٣٧٤م).

: أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك

الإسلام، القسم الخاص بتاريخ أسبانيا، نشره ليفي

بروفنسال باسم تاريخ أسبانيا الإسلامية، الرباط،

١٩٣٤م.

: إعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك

الإسلام، القسم الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشره

د. أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم

الكتاني، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

: نفاضة الجراب في علالة الافتراق

نشر د. أحمد مختار العبادي، القاهرة، ١٩٦٧م.

: الإحاطة في أخبار غرناطة.

نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان، أربعة أجزاء ١٩٧٣-

١٩٧٧م.

مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب
والأندلس.

تحقيق د. أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، ١٩٨٣ م.
ابن خلدون (أبو زيد عبدالرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)

: العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
بيروت، ١٩٨١ م.

ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ت ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ هـ)
: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، الجزء
الأول، تحقيق عبدالحميد حاجيات، طبعة الجزائر
١٩٨٠ م.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م.
: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

تحقيق إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ.
ابن أبي دينار (أبو عبدالله محمد بن القاسم القيرواني) ت ١١١٠ هـ
: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.

تحقيق محمد شمام، تونس، ١٩٦٧ م.
ابن أبي ذرع (أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي) ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م.
: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك
المغرب وتاريخ مدينة فاس.

طبعة الرباط، ١٩٧٣ م.
: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.

طبعة الرياط، ١٩٧٢م.

الزركنسى (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤلؤى) ت ٩ هـ (١٥م)

: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية

طبعة تونس، ١٩٦٦م.

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن طلى بن موسى بن محمد)

ت ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م)

: المغرب فى طلى المغرب.

تحقيق د. شوقي ضيف فى جزئين، القاهرة ، ١٩٥٣-

١٩٥٥م.

السلوى (أبو العباس أحمد بن خلدون الناصرى) ت ١٣١٥ هـ/١٨٩٧م.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

طبعة الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

ابن صاحب الصلاة (عبدالمك) كان حياً سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م)

: المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة

وجعلهم الوارثين.

السفر الثانى، تحقيق عبدالهادى التازى، بيروت.

١٩٦٤م.

ابن عبدالمك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشى) ت ٧٠٣ هـ/١٣٠٣م.

: الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة.

: ثلاثة أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة،

السفران الرابع والخامس، تحقيق إحسان عباس

بيروت، ١٩٦٤ - ١٩٦٥م، السفر الأول بدون تاريخ.

ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حياً سنة ٧١٢ هـ
(١٣١٢م)

: البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب خمسة أجزاء،
الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان وإيلى بروفسنال،
طبعة بيروت بدون تاريخ، الجزء الرابع خاص بتاريخ
المرابطين، نشر احسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، الجزء
الخامس خاص بتاريخ الموحدين وبداية عهد بنى مرين،
نشر محمد ابراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت، الدار
البيضاء، ١٩٨٥م.

الغبريني (أبو العباس أحمد) ت ٧١٤ هـ (١٣١٥م).

: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة
ببجاية.
الجزائر، ١٣٢٨ هـ.

ابن القاضى (أحمد بن محمد بن أبى العافية الكتانى) ت ١٢٠٥ هـ
(١٦١٦م).

: جنوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة
فاس.
طبعة الرباط ، ١٩٧٤م.

ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتانى) ت ٦٢٨ هـ (١٢٣١م)
: نظم الجمان فى أخبار الزمان.

نشر د. محمود على مكى، الرباط، ١٩٦٤م.

القلقشنذى (أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٨٢١ هـ (١٤١٨م)

: صبيح الأعشى فى صناعة الإنشاء. ١٤ جزء. القاهرة،

١٣٣٨ م.

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزي)

: تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار.

ال خلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، مدريد،

١٩٧١ م.

المراكشى (عبدالواحد بن على) ت ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م)

: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب.

نشر سعيد العريان ومحمد العربى العلمى القاهرة،

١٩٤٩ م.

ابن مرزوق (أبو عبدالله محمد بن أحمد العجيسى التلمسانى) ت ٧٨١ هـ

: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى

الحسن.

تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١ م.

المقرئ (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى)

ت ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)

: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها

لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس بيروت،

١٩٦٨ م.

مؤلف مجهول

: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لكاتب مراكشى

من القرن السادس الهجرى، نشر وتحقيق د. سعد

زغلول عبدالحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.

مؤلف مجهول.

: الحلال الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل
زكار وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

مؤلف مجهول

: نبذ تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى
منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر نشره
ليفى بروفنسال، الرياط، ١٩٣٤م.

النويرى (أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدايم البكرى التميمى
القرشى) ت ٧٣٢ هـ (١٣٣١م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب
الجزء الثانى والعشرين، نشر جاسبار راميرو، غرناطة،
١٩١٦-١٩١٧م.

الوزان (الحسن بن محمد الفاسى المعروف بليون الإفريقى) ت ٩٥٦ هـ
: وصف إفريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي
ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.

ياقوت (شهاب الدين أبى عبدالله الحموى) ت ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م)
: معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار
والسهل والوعر فى كل مكان.
ثمانية أجزاء، القاهرة، ١٨٦٦ - ١٨٦٧م.

ثانياً: المراجع العربية والأوروبية المعربة:

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الدار

البيضاء، ١٩٦٥.

..... : الجيش المغربي فى عهد بنى مرين، مجلة

كلية الآداب، الرباط العدد الثامن،

١٩٨٢.

-أحمد مختار العيادى (دكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس،

ط١، الاسكندرية، ١٩٦٨م

..... : فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية

١٩٧٤م

-حسن احمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من

تاريخ المغرب فى العصور الوسطى،

القاهرة، ١٩٥٧م.

-حسن على حسن (دكتور) : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس

فى عصر المرابطين والموحدين، الطبعة

الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.

-سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): تاريخ المغرب العربى، جزءان،

الإسكندرية، ١٩٧٩م.

-السيد عبد العزيز سالم (دكتور): المغرب الكبير (العصر الإسلامى)

الإسكندرية، ١٩٦٦م.

-عبد الله السويسى : تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩.

-عز الدين احمد موسى (دكتور): النشاط الاقتصادى فى المغرب

- الإسلامى خلال ق٦هه ط١، دار
الشروق- بيروت، ١٩٨٣
- ليفي بروفنسال : نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب
الأقصى، باريس، ١٩٢٣.
- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط٤، القاهرة،
١٩٦٩م.
- محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين الموحدين فى المغرب
والأندلس، القاهرة ١٩٦٤م
- محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى
العصر المرينى، الكويت، ١٩٨٥.
- محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية، مجلة البيئة، السنة
الأولى، العدد الثامن، رجب ١٣٨٢هـ/
ديسمبر ١٩٦٢.
- محمد المنونى : ورقات عن الحضارة المغربية فى العصر
المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم
الانسانية، الرباط، ١٩٧٩م.
- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين
والموحدين، ترجمة الأستاذ محمد عبد
الله عنان، القاهرة ١٩٥٨.

ثالثاً: المراجع الأوروبية:

- A. Ballesteros Beretta ;
La Toma de Salé en Tiempos de
Alfonso; x El sabio, Al - Andalus, 1943.
- Alfred Bel ;
Les Banou Ghanaya, Paris, 1903
- Byrn (E.H.) ;
Commercial Contracts of the Genoese/ in
the syrian Trade of the Twelfth Century.
"the quarterly Journal of Economics)
Vol. xxxl, 1916- 1917.
- Dozy (R.) ; Histoire des Musulmane d'Espagne,
Threevols. leyde,1932.
- Gaspar (R.) ; Historia de Murcia Masulmana,
Zaragoza, 1903
- Gélérrier.(j.) ;
"T" Atlas et la Circulation au Maroc,
Hespéris, Tome, II, 1927.

- Julien (A.) ; Histoire de L'Afrique du nord de la
Conquete arabe a' 1830, Paris, 1952.

- Marcais (G.) ; La Barbérie Musulmane et L'orient au
moyen - âge, Paris 1947.

- Miranda (A.H.) ; La Toma de salé Par la escuadra de
Alfonso' x nuevo datos, R. Hespéris,
année, 1952.

- ; La invasion de los Almoravidesy la
batalla de Zalaco, Hespéris, tome xl,
Paris, Anné, 1953.

- ; Historia Politico de L'imprio Almohade,
Tetuan, Vol I, 1956.

- Simonet ; Histoire de los Mozorabes de Espâna,
Madrid, 1897.

- Terrasse ; les Portes del' arsenal de salé, Hespéris,
tome, II, année, 1922.

فهرس المحتويات

الصفحة

٥٩-٣	- التاريخ السياسى لمدينة سلا
١١-٣	- سلا من الفتح الاسلامى حتى عهد المرابطين
١٥-١٢	- سلا فى عصر المرابطين
٤٠-١٦	- سلا فى عصر الموحدين
٥٩-٤١	- سلا فى عهد بنى مرين
٨٢-٦٠	- بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا
٦٥-٦١	أولاً: الحياة الاقتصادية
٦١	أ- الزراعة
٦٢	ب- الصناعة
٦٣	ج- التجارة
٦٤	د- صيد الأسماك
٧٨-٦٦	ثانياً: المنشآت المعمارية
٦٦	١- المنشآت الدينية
٧٠	٢- المنشآت المدنية
٧٥	٣- المنشآت العسكرية
٧٩-٧٨	ثالثاً: الاحتفالات والمناسبات العامة
٨٢-٧٩	رابعاً: الحياة الفكرية
-٨٣	- مصادر ومراجع البحث

